الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عباس لغرور – خنشلة–

كلية الآداب واللغات

الجهود الصوتية والدلالية عند الجاحظ من خلال كتاب البيان والتبيين

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شـهـــادة مـــــاستر في اللغة والأدب العربي

تخصص : دراسات لغوية

إعداد الطالبتين :

- رحالي إيمان
- طير هدى

إشراف الدكتورة :

بحري نوارة

أعضاء لجنة المناقشة:

الإسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
عالية قري	د.أستاذ محاضر	جامعة عباس لغرور	رئيسا
بحري نوارة	أستاذة التعليم العالي أ.د	جامعة عباس لغرور	مشرفا
بوشمال إلياس	مساعد أ	جامعة عباس لغرور	مناقشا

السنة الجامعية: 2021/2020

شكر:

نتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى:

الأستاذة المشرفة: د. نوارة بحري

والتي لم تبخل علينا من فيض نصائحها وإرشاداتها وتوجيهاتها السديدة التي كانت لها الأثر والصدى الكبير في إنجاز هذا البحث المتواضع.

وإلى كل من ساهم من قريب أو من بعيد في إنجازهذا العمل.

شكرا

خطة البحث:

عنوان البحث : الجهود الصوتية والدلالية عند الجاحظ من خلال كتاب البيان والتبيين

مقدمة

-مدخل : تحديد المصطلحات :

-الجهود

-اللغة

-علم اللغة

-الإطار الفكري لظهور اللسانيات العربية.

-تمظهرات الجهود اللغوية العربية (مظهر صوتي ، نحوي ، دلالي، بلاغي)

الفصل الأول: الجهود الصوتية عند الجاحظ من خلال كتاب البيان والتبيين

- الجهود الصوتية عند الجاحظ من خلال كتاب البيان والتبيين.

-مصطلحا الصوت والحرف عند الجاحظ لغة واصطلاحا.

-مخارج وصفات الأصوات عند الجاحظ .

-حسن التأليف بين الحروف (التآلف، أو التشكيل الصوتي).

-عيوب النطق والكلام.

-مراتب عيوب النطق.

-الأصوات التي تلحقها العيوب.

-مصطلحات عيوب النطق التي وردت عند الجاحظ (اللثغة وأسباب حدوثها والحروف التي تدخلها اللثغة)

الفصل الثاني : قضايا علم الدلالة عند الجاحظ

- قضايا علم الدلالة عند الجاحظ من خلال كتاب البيان والتبيين
- الصور اللفظية وغير اللفظية
- وظائف الكلام من خلال كتاب البيان والتبيين
- الدلالة السياقية واختيار المكان والمقام
- موقع اللفظ والمعنى داخل السياق

- الجدل حول نشأة اللغة

خاتمة

ملحق : الجاحظ كنيته ، مولده ، أسرته ، مسيرته العلمية ، أخلاقه ، اعتقاده ، مذهبه ، مؤلفاته، والبيان والتبيين ومنهج الكاتب فيه .

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأ نبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أفصح المتكلمين، وأبلغ الناطقين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

لا شك أن التراث العربي الإسلامي القديم، ثري بأسماء جليلة طالما كان هدفها الإلمام بجوانب العلم والمعرفة، ونشر ثقافتها، ولقد تعددت القضايا بتعدد هذه الشخصيات الفذة، ومنهم أبو عثمان الشهير بالجاحظ، الذي ذاع صوته عبر الأزمان والأجيال نظرا للمكانة التي حفل بها و لعل هذا راجع للقدرة العقلية التي مكنته من إنتاج هذا الكم الهائل من المؤلفات في مختلف الموضوعات، مما جعله محط أنظار الباحثين والدراسيين، ومن بين القضايا التي اهتم بها الجاحظ القضايا ذات الطابع الصوتي والدلالي، والذي لفت انتباهنا من خلال كتاب: «البيان و التبيين »، تلك المصطلحات الصوتية والدلالية التي استعملها في كتابه، والتي تحتاج إلى تمحيص وتدقيق في مدلولاتها، على الرغم أنه من الصعب في بعض الأحيان أن نعثر على مفهوم بعض المصطلحات المتداولة على لسان الجاحظ وأهم القضايا التي تناولها في كتابه سواء دلالية أم صوتية، إلا أن ذلك لم يثن من عزيمتنا بل زادنا حيوية، وإرادة من أجل إثبات أن ما توصل إليه العقل العربي لم يكن بالأمر الهين.

ولهذا اخترنا الإشكالية التالية:

ما هي أهم القضايا الصوتية والدلالية التي أثارها الجاحظ في كتابه البيان والتبيين؟، وإلى أي مدى وفقت المنجزات اللغوية لجه د اللغة العربية وموافقتها لما توصل إليه الدرس اللغوي الحديث في الجانبين (الصوتي و الدلالي)؟،

وما أثر مؤلفاته في ترسيخ بعض القضايا المتناولة، وجعلها مصطلحات اعتمدها البحث اللغوي الحديث؟

و للإجابة على هذه التساؤلات اتبعنا خطة عرض تمثلت في: مقدمة، مدخل وفصلين، أما الفصل الأول عنون بـ: الجهود الصوتية عند الجاحظ من خلال: كتاب البيان والتبيين، كما احتوى على عدة مباحث: مصطلح الصوت والحرف عند الجاحظ، مخارج الحروف وصفاتها، حسن التأليف بين الحروف، عيوب النطق والكلام، وأخير الأصوات التي تلحقها العيوب.

أما الفصل الثاني عنون بـ: قضايا علم الدلالة عند الجاحظ من خلال كتاب البيان والتبيين، الصور اللفظية وغير اللفظية الدلالة السياقية واختيار المكان، موقع اللفظ والمعنى داخل السباق ، الجدل حول نشأة اللغة، أخيرا خاتمة، حوصلة عن الموضوع وملحق حوى على التعريف بالجاحظ وأهم مؤلفاته.

وقد اعتمدنا في مباحث هذه الفصول منهجا يتلاءم وطبيعة الموضوع، الوصفي التحليلي، واختيارنا للموضوع كانت له أسباب ذاتية وأخرى موضوعية ، أما الأسباب الذاتية تمثلت في ميولنا لمعرفة المنجزات اللغوية العربية القديمة عند واحد من الأسماء اللامعة، واخترنا الجاحظ باعتباره صاحب العقل الحصيف والقامة السام وقة في مجال اللغة والأدب، اما أسباب موضوعية تجسدت في محاولة إثراء المكتبة العربية بهذا العمل المتواضع الذي جمعنا فيه عصارة جهد الجاحظ وتبسيط عمله للقارئ، وأهم المراجع والمصادر التي استندنا إليها:

- ✓ الجاحظ، البيان والتبيين.
- ✓ مصطفى غلفان، اللسانيات العربية في الثقافة العربية الحديثة .
- ✓ فوزي عطوي، الجاحظ دائرة معارف عصره.
- ✓ الجرجاني، أسرار البلاغة.
- ✓ جاسم، اللغة التطبيقي في التراث العربي.

مدخل: تحديد المصطلحات:

1 -تعريف الجهود:

- **لغة:** الجَهْدُ و الجُهْدُ: الطاقة، نقول أجهد جهدك، وقيل: الجهد المشقة و الجهد الطاقة، الليث: الجهد ما جهد الإنسان من مرض أو أمر شاق، فهو مجهود قال: و الجُهْدُ لغة بهذا المعنى، وفي حديث أم معبد: شاة خلفها الجهد عن الغنم، قال ابن الأثير: قد تكرر لفظ الجَهْدِ و الجُهْدِ في الحديث وهو بالفتح، المشقة، وقيل هما لغتان في الوسع و الطاقة، فأما في المشقة والغاية فالفتح لا غير، وَجُهِدَ الرجل إذا هزل، قال سيبويه: وقالوا طلبته جهدك. أضافوا المصدر وإن كان في موضع الحال، كما أدخلوا فيه الألف و اللام حيث قالوا: أرسلها العراك، وقال: وليس كل مصدر مضافا كما أنه ليس كل مصدر تدخله الألف و اللام، [1] قال تعالى:« و أقسموا بالله جهد أيمانهم.»[2]
- **اصطلاحا:** يمكن تعريف الجهود في مجال الدعوة و الاحتساب بأنها: « بذل الداعية أو المحتسب وسعه و طاقته، وتحمل المشقة في الأمر بالمعروف، و النهي عن المنكر، و نشر الدين الإسلامي و تبليغه للناس ليلتزموا به.»[3]

2-تعريف اللغة:

- **لغة:** جاء في لسان العرب بمعنى اللسْنُ و هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم وهي فعلة من لغوت أي تكلمت، قال ابن الأعرابي: واللغة أخذت من هذا، لأن هؤلاء تكلموا بكلام مالوا فيه من لغة هؤلاء الآخرين، و اللغو: النطق، يقال: هذه لغتهم التي يلغون بها أي: ينطقون بها.[4]

---

[1]- عبد الحق الكتاني، معجم اللغة العربية، دط، سنة 2012-2013، ص74.

[2]-سورة الأنعام، الآية 109.

[3]- راغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح وضبط: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ص 101.

[4]- ابن منظور: لسان العرب، ط4، لبنان، 2005، ص 4050، 4051.

- **اصطلاحا:** عرف ابن خلدون في مقدمته اللغة على أنها: "عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام ، فلابد أن تصير ملكة متقررة في الفاعل لها وهو اللسان وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم [1] ". و أراد ابن خلدون في كلمة عبارة أن تشير أن اللغة جانبا وظيفيا فهي وسيلة لإيصال ما يقصد المتكلم، و أراد في جملة بحسب اصطلاحاتهم أن لكل قوم لغة خاصة بهم، كما يرى ابن خلدون أن اللغة ظاهرة اجتماعية. كما نجد تعريفا قديما للغة عند العالم اللغوي ابن جني فيعرفها بأنها: " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[2] " .

3-تعريف علم اللغة: Linguistique:

يقصد به دراسة اللغة على نحو علمي، ويدرس علم اللغة الحديث بنية اللغة من الجوانب الآتية الأصوات و الصرف، النحو و المفردات و دلالتها (علم المعنى)، ويضم علم اللغة العامة كل فروع البحث اللغوي التي تزودنا بالمفاهيم الأساسية والنظريات و المناهج، و يعني بالبحوث التاريخية و المقارنة و البحوث اللهجية التطبيقية.[3]

فعلم اللغة العام هو العلم الذي يقدم لنا النظرية التي تفسر اللغة الإنسانية و يقدم المناهج التي تدرسها، و كثيرا ما يكتفي الباحثون بعبارة (علم اللغة Général linguistiques)

وقد فُهِمَ علم اللغة العام، غالبا بأنه يعني علم اللغة الوصفي ، أي أنه دراسة تلاحظ و تحلل الخواص الصوتية و الصرفية و النحوية و المعجمية للغة، وإن كان العلماء اليوم يحرصون على التفريق بينهما.

([1]): ينظر: ابن خلدون: المقدمة، ج1، ط4، بيروت، دار الكتب العلمية، 1978، ص275.

([2]): ينظر: إبن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ج1، القاهرة، 2006، ص33.

([3]): حاتم صالح الضامن، علم اللغة،بيت الحكمة، كلية الآداب، جامعة بغداد، دط، دت، ص30.

- **الإطار الفكري لظهور اللسانيات العربية:**

النشأة والتطور: يرى أحمد مختار عمر في كتابه: البحث اللغوي عند العرب، : "أن كل دراسة لغوية في كل عصر كان لها هدف معين فالدراسات القديمة كان معظمها لغرض ديني، فهي عند الهنود للمحافظة على لغة دينهم وعلى كتابهم المقدس–خاصة المعجمية منها– لأنهم لا يسمحون بالأخطاء في لغتهم، وكذلك عند الإغريق وغيرهم من الشعوب ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح في الدراسات العربية القديمة، حيث كان الهدف الأساسي منها هي الأخرى للمحافظة على القرآن الكريم بالدرجة الأولى" [1]، وفهمه ثم المحافظة على لغته والدراسات الغربية الحديثة هي الأخرى لها غاية محددة،حيث جاء في محاضرات دي سوسير، أن الهدف من اللسانيات هو معرفة الألسن يةمن حيث هي ظاهرة بشرية عامة و اكتشاف القوانين الضمنية التي تحكم الظاهرة اللغوية وضبط سماتها الصوتية والتركيبية والدلالية للوصول إلى قوانين كلية اللغة، وشرح خصائص العملية الكلامية وتفسير العوائق العضوية (والنفسية) النفسية والاجتماعية المعرقلة لأدائها، وبناء نظرية لسانية لها صفة العموم.

إذ يمكن على أساس دراسة جميع اللغات وتأريخها بسرد تاريخ الأسرة اللغوية وإعادة بناء اللغات الأم في كل منها ما أمكن ذلك[2].

ولما كانت كل الدراسات لها غاية محددة وتتخذ موضوعا معينا،فإن الدراسات اللغوية العربية الحديثة لها غاية وموضوع محدد لكن ليس من السهل تحديد هدف وغاية الدراسات

1–أحمد مختار عمر : البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، عالم الكتب، ط9،القاهرة–2010م،من ص 58–95.

2–صورية جغبوب، قضايا اللسانيات العربية الحديثة بين الأصالة والمعاصرة من خلال كتابات أحمد مختار عمر،رسالة دكتوراه، سطيف اشراف:عزدين صحراوي، 2011–2012– ،ص:08.

اللغوية العربية الحديثة، لأن هذه الأخيرة أثارت الكثير من التساؤلات، وخضعت للكثير من الدراسات التي أدت في النهاية إلى ترتيبها وتصنيفها في اتجاهات مختلفة

اللسانيات العربية: تحديد أولي:

ترتبط نشأة الدرس اللساني العربي الحديث بالمناخ العام الذي حكم الفكر العربي الحديث، ابتداءا بما عرف بعصر النهضة العربية، أي أوائل القرن التاسع عشر، الذي كان وليد التدخل الاستعماري في البلاد العربية ولقد شكل هذا القرن منعطفا حاسما في تكوين الفكر العربي الحديث، إذ وجد هذا الأخير نفسه أمام ضرورة القيام بمشاريع إصلاحية كبرى على المستويات جميعا وضرورة إعادة النظر في أوضاع الفكر لمو اكبة التطور الحاصل في الغرب الذي صدم العرب للمرة الأولى مع الحادث الاستعماري[1].

إذ من المعروف أن عصر النهضة العربية الحديثة ساهم في إحياء كثير من كتب التراث، العربي وكل ما صاحب ذلك من تغيير في تصور قضايا الأدب العربي ومناهج دراسته.

وعرفت هذه الفترة أيضا استضافة الجامعة المصرية للكثير من المستشرقين المهتمين بدراسة الثقافة العربية جميع مكوناتها الفكرية [2].

فقد تأخر ظهور علم اللغة بمفهومه الغربي الحديث، رغم إنشاء قسم اللغة العربية وآدابها منذ تأسيس كلية الآداب بالجامعة المصرية في بداية القرن العشرين ولم تعرف الدراسة اللغوية العربية من نحو وصرف وبلاغة ولغة أي تغيير نظري أو منهجي وقد كانت اللغة العربية

1- فاطمة بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث،القاهرة،ط1، 2004م،ص10.

2-مصطفى غلفان:اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، حفريات النشأة والتكوين ،ط1،الدار البيضاء،2006م،شركة النشر والتوزيع،ص134.

تدرس بكلية الآداب طبقا لما كان عليه الأمر في معاهد أخرى كالأزهر ودار العلوم التي كانت خير معهد يدرس اللغة دراسة نظرية وتطبيقية في حدود ما انتهى إليه اجتهاد السابقين.

وتشكل قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب منذ نشأته من أساتذة كبار على رأسهم :"طه حسين" ومنهم أساتذة مصريون أمثال "أحمد أمين" و "إبراهيم مصطفى" و "عبد الوهاب عزام"، "أمين الخولي"...[1].

فَثُلٌ الأساتذة السابقين يغلب عليهم التكوين الأدبي، وقد انحصر اهتمام اللغويين منهم في حدود نقدهم لأصول النحو العربي العامة ، وقواعده ومنهج النحاة وللبلاغة القديمة في قواعدها وقوالبها البيانيةِ.

ويتضح مما بين أيدينا أن قسم اللغة العربية بكلية الآداب كان يخلو من المدرسين والأساتذة العرب المتخصصين، في الدراسات اللغوية بمفهومها الحديث.

تمظهرات الجهود اللغوية العربية:

مستويات التحليل اللغوي الحديث: تعد اللغة تلك المنظومة من رموز والأصوات التي اصطلحت عليه الجماعة بغرض التواصل، والتخاطب فيما بينها مما يعني أن الظاهرة اللغوية عبارة عن نظام يخضع لقواعد وأسس معينة ومن هذا المنطق بدأ الدرس اللغوي يجلب اهتمام الكثير من الباحثين فأصبح كل واحد منهم يدرس اللغة من وجهة نظر خاصة، ووفق منهج معين حتى وصل بهم الإجماع إلى أن النظام اللغوي يخضع في تحليله إلى أربع مستويات،محددة تبدأ من دراسة أصغر وحدات اللغة وهو الصوت وصولا إلى الجمل،والعبارات والتراكيب المختلفة ذلك أن اللغة نظام مركب ومعقد جدا قد لا يم كن منهج واحد لتقسيم ظواهره وبيان خصائصه ومميزاته.

1-المرجع السابق، ص:134.

المستوى الصوتي: إن اللغة هي أصوات أو مقاطع صوتية فالصوت هو الهيئة الأساسية لأي لغة من اللغات كما أنه المادة الخام لإنتاج الكلام وربما يظهر مفهومه جليا في تعريف ابن جني "له أعلم أن الصوت عرض يخرج م ع النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق والفم الشفتين مقاطع تثنيته عن امتداد واستطالة" [1]، وهذا يعني ابن جني قد تفطن إلى كنيته حدوث الصوت اللغوي والذي يتم عن طريقة تظافر أعضاء الجهاز الصوتي إن الدراسات الحديثة اليوم تعترف بفضل الدراسة الصوتية وتعتبرها أول خطوة في أي دراسة لغوية كانت الدراسة الصوتية أصبحت علما قائما بذاته ضوابط وقوانين معينة ويخضع المنهج محدد فقد عرفه رمضان عبد التواب قائلا:" هو الدراسة العلمية للصوت الإنساني من ناحية وصف مخارجه وكيفية حدوثه وصفاته المختلفة التي تميز بها عن الأصوات عن تركيبها في الكلمات أو الجمل" 2، فمن هذا التعريف يتبين أن علم الأصوات ينقسم إلى قسمين فالشق الأول من هذا العلم يهتم بالدراسة العلمية الموضوعية للصوت الإنساني إذا يحدد مخارج الأصوات وكيفية حدوثها و بيان صفاتها المميزة لها عن غيرها وهذا ما يطلق عليه مصطلح phonétique وأما الشق الآخر فهو الذي يعن ى بدراسة وظيفة الأصوات في المعنى اللغوي وقد أطلق عليه la phonologoie أي السامع في المرحلة التي تمثل الميدان التطبيقي لحدوث الذبذ بات الهوائية والموجات الصوتية حتى تلت قطه أذن السامع وهو الأخر مجال لدراسة الصوت إذ يطلق عليه مصطلح " الأصوات السمعي" الذي يتخذ الأذن مادة للدراسة من حيث مكوناتها وتموجاتها واستقبالاتها فبعبارة أخرى: أثر هذا الصوت على أعضاء السمع.

المستوى الصرفي:

1- ابن جني، سر صناعة الإعراب، تح: حسن هناوي،ط1،ج1، دار دمشق 1985،ص6.

2-رمضان عبد التواب، مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي،ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة،1997م ، ص:13.

علم الصرف هو الذي يهتم بأحكام بنية كلمة مما فهو بحروفها من أصالة وزيادة صحة وإعلال [1]، فهو يهتم بهيئة الكلمة بغرض معرفة أصالة الكلمة وما يصيبها من زيادة وإعلال من جهة، ومن جهة أخرى، فهو يهدف إلى معرفة أثر هذه الزيادة في معنى الكلمة وما يمكن أن تؤديه من معاني إضافية أخرى الزيادة في معناها الأصلي والحقيقي، وقد أصطلح على تسميته في الدراسات اللغوية الحديثة " la morphologie" فهو العلم الذي يهتم بالوحدات الصرفية "morphémes" ومدى تأثيرها في المعاني اللغوية فإذا كان المستوى الصوتي يهتم بالوحدات الصوتية " phonémes" فإن الصرف أو البحث الصرفي يهتم بمعرفة وظيفة الوحدات الصرفية وأثرها في بنية الكلمة، لذا جاء تعريف اللغويين بأنها:" أصغر وحدة في بنية الكلمة تحمل معنى، أو لها وظيفة نحوية في بنية الكلمة"[2].

فلو أخذنا كلمتي " Traduction" و"Traducteur" نلاحظ أن كلا الكلمتين لهما جذر واحد وهو traduire بينهما لا ينتهيان بنهاية واحدة، فالأولى تنتهي " tion" في حين تنتهي الكلمة الثانية باللاحقة " teur" والذي جعل معنى الكلمتين مختلفا هو هذه النهايات، والتي اصطلح الصرفيون على تسميتها ب: المورفيمات، فهذه الأخيرة لها تأثير كبير على المعنى، أدرك اللغويون أن هذه المورفيمات تختلف من حيث دلالتها على المعنى وعلى الوظيفة النحوية والصرفية فقسمت بذلك غلى ثلاثة أنواع رئيسية وهي: المورفيم الحر " Free morphéme" ، وهو الذي يمكن استعماله بحرية وبصفة انفرادية ومستقلة، مثل: رجل كبير، صغير،... وغيرها من الأمثلة الموجودة في اللغة العربية أما النوع الثاني فهو المرفيم الم وقيد: Bonnd morphéme أي الذي لا يمكن استخدامه إلا متصلا بمورفيم آخر كالألف والتاء للدلالة على جمع مؤنث السالم والألف والنون في جمع المذكر السالم، أما المورفيم الصغري

1- أبو عبد الله بدر الدين، ابن النظام، شرح ابن الناظم على ألفية بن مالك، تح، محمد باسل عيون السود، ط1،دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان،2000،ص582.

2-محمود فهمي مجازي، مدخل إلى علم اللغة،ص102.

Zéro morphéme فهو يدل على عدم وجود مورفيم محذوف كالضمائر المستترة حركات الإعراب المقدرة وغير ذلك[1].

من لغة لأخرى، وهنا يتم على اللغة الحديث بدراسة الأنماط التي تتخذها كل لغة بمفرداتها دون أن ينظر إليها، وسائل بناء الكلمات في كل لغة هادفا إلى تقرير الحقائق دون قدها أو مدح[2].

اهتم اللغويون القدماء بالنظام الصرفي للغة العربية وهذا لمعرفة الأحكام والضوابط التي خضع لها بنية الكلمة وهيئتها،فأوجدوا ما يسمى "بالميزان الصرفي"، يتكون من ثلاثة أصول "ن،ع،ل"، وهذا لأنهم أدركوا أن أكثر الكلمات العربية تتكون من ثلاثة أحرف فجعلوا الفاء تقابل الحرف الأول، والعين تقابل الحرف الثاني، واللام تقابل الحرف الثالث، وبالتالي يكون شكلها على شكل الكلمة المراد وزنها فنقول فتح على وزن فعل[3].

إن مفهوم اللغويين القدماء لعلم الصرف يقترب إلى حد كبير من مفهوم الم ورفولوجيا "MORPHOLOGIE"، عند علماء اللغة المحدثين غير أن الاختلاف الموجود بينهما يكمن في أن النظام الصرفي الذي وضعه قدماء اللغويين هو نظام يصدق على اللغة العربية وحدها أو بعض اللغات السامية التي تشبهها، في حين أن المورفولوجيا.

هي علم أعم لها نظام صرفي يصدق على جميع اللغات المراد تحليلها صرفيا فالنظام الصرفي للغة العربية ينكون من نقطتين أساسيتين فأولهما: المعاني الصرفية التي تحملها الصيغ المختلفة في اللغة العربية كالتعدية والمطاوعة والكثرة وغيرها من المعاني المختلفة.

1-ينظر: حلمي خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة، دار المعرفة الجامعية، مصر،2003- ص91-92.

2-محمود فهمي حجازي، "مدخل إلى علم اللغة" ص106.

3-ينظر: أحمد بن محمد بن أحمد،الحملاوي،"شذا العرف في فن الصرف"،شرح عبد الحميد هنداوي ط1 دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1998م:ص:13.

وأما النقطة الثانية فهي المباني الصرفية وهي التي تتعلق بالزوائد والأدوات المختلفة وبكمن العلاقة بينها في أن: المباني الصرفية أي المورفيمات " morphéme" ، تنتج معان صرفية وظيفية وأن هذه المباني تندرج تحتها علامات فتعطي هذه العلامات للمبنى الصرفي معنى واضحا مثل كلمة: الزيدان فهذه بنية دالة على التثنية والذي جعلها تدل على ذلك هي علامة التثنية التي هي الألف والنون 1، وهذا يعني أن المورفيات تحمل وظائف صرفية متعددة في اللغة العربية فهناك مورفيات أخرى، وهي الدالة على الصفات إلى إظهار الموصوف بتلك الصفة، وتوجد كذلك مورفيات أخرى،وهي الدالة على الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة والظروف ....، فمورفيات اللغة العربية زيادة على كونها تحمل معان صرفية بحتة فهي كذلك لها وظائف نحوية مختلفة، إذ أن ترتيبها في الجمل والتراكيب يجعلها حاملة لمعان نحوية مختلفة، كدلالتها على الخبر والإنشاء والنفي والإثبات والاستفهام والتعجب، ولا يحصل ذلك إلا باستعمال مورفيات خاصة كأدوات الاستفهام أو أدوات الشرط أو الاستثناء وهذا يعني أن: "النظام الصرفي أو المورفولوجي لأية لغة إلى لغة أخرى من حيث البناء والتحديد والوظيفة والقيم التوزيعية، ولكنه لا يختلف من حيث خضوعه للتصنيف بناءا على الوحدة التي تطلق عليها مصطلح المورفيم بأنواعه الثلاثة الحر المقيد والصغري"2

يقول علي محمود النا بي عن فائدة علم الصرف:" صون اللسان عن الخطأ في المفردات، ومراعاة قانون اللغة في الكتابة، فهو يحق من أجل علوم العربية موضوعا وأعظمها خطرا وأحقها بأن تعنى به لأنه يدخل في الصميم من الألفاظ العربية، ويجري مجرى المعيار والميزان، بمراعاة قواعده تخلو مفردات الكلام من مخافة القياس التي تخل بالفصاحة وتبطل معها بلاغة المتكلمين"3.

1-ينظر: تمام حسان: " اللغة العربية معناها ومبناها"، ط3، عالم الكتب ، القاهرة 1998م ، ص82-83.

2-حلمي خليل: "مقدمة لدراسة علم اللغة" ص:105.

3-علي محمود النابي "الكامل في النحو والصرف"، ط1، دار الفكر العربي- مصر،القاهرة- ،2004م ،ص:8.

المستوى التركيبي أو النحوي:

يهتم المستوى النحوي أو التركيبي بالعوامل النحوية وقواعد تركيب الجمل من حيث هي اسمية وفعلية، مثبتة،ومنفية، خبرية وإنشائية، كما يدرس العلاقات في الجملة نفسها، وعلاقتها بما قبلها وما بعدها [1]، مما يعني النحو ارتبطت ارتباطا وثيقا بمفهوم التركيب أو الجملة، هذه الأخيرة التي لا يمكن أن تؤلف إلا بقواعد نحوية تحدد بناءها وتضبطها ضبطا صحيحا، وأخضعوا المستوى التركيبي أو النحوي إلى النوعين من العلاقات:تأتي في مقدمها العلاقات الجدولية وهي التي تصنف الصيغ الصرفية في فصائل نحوية كالجنس والعدد .... الخ، وتلعب هذه الفصائل النحوية دورا أساسيا في تشكيل التراكيب والجمل.

أما العلاقات السياقية ، فهي: التي تهتم بموقع كل فصيلة نحوية وتنظيمها وترصيفها على شكل سلسلة كلامية، فهذه العلاقات تخضع الكلمات إلى قانون التجاور [2]، فنأخذ كل كلمة في الجملة مكانها المناسب لها حتى تصبح لها قيمة في ذاتها، وأخرى بين الكلمات المجاورة لها في سياق، مما يسهل من مهمة الجملة في تأدية وظيفتها وإن كان "ماريوباي" قد تكلم في كتابه "أسس علم اللغة" عن النحو التقليدي في أنه تعدى حدود تنظيم الكلمات في تراكيب على البحث عن خصائص ومميزات الأسلوب الأدبي إذ يقول:" أما علم النحو Syntax الذي هو تنظيم الكلمات في شكل مجموعات أو جمل، فقد يتسع مدلوله في بعض الأحيان على أيدي النحاة التقليدين سمات وخصائص تتعلق بالأسلوب الأدبي وليس لها في الواقع أي اتصال لها اتصال بسيط بالنماذج الأساسية للغة المتكملة"[3].

1-ينظر: إبراهيم صبح مأمون جرار:" المدخل إلى دراسة اللغة العربية"، ط2، دار حامد، عمان، الأردن،2005م، ص:16.

2-ينظر: نور الهدى لوشن، "مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي"، المكتب الجامعي الحديث،الأزاريطيه، الإسكندرية 2002م ، ص149-150.

3-ماريوباي: "أسس علم اللغة"، تر: أحمد مختار عمر، ط2، عالم الكتب،1998م ، ص:54.

يعتبر علم النحو في اللغة الفصحى من أكثر فروع اللغة استقطبها لاهتمام اللغويين القدماء، لما له من أهمية في ربط وحدات النظام اللغوي ببعضها البعض عن طريق الأحكام والتي ألفها اللغويون وبنوا على أساسها الجملة العربية، فهو "جوهر دراسة علوم العربية، وأصل من أصول تفكير العلماء العرب اللغوي وهو شكل ونتيجة متينة تربط عناصر النظام اللغوي بعضها ببعض، وتمثل الضوابط والأحكام التي يبنى عليها الكلام وتتضح بها المعاني"[1]، ويعتبر كتاب "سيبويه" من أقدم الكتب التي وصلتنا في علم النحو فقد تكلم فيه عن قضيتي الجملة والإعراب، ويعود السبب في اهتمام اللغويين القدماء بالجانب النحوي إلى أن النظام اللغوي عندهم يبدأ من قضايا الجملة والإعراب إلى الكلمات ثم الأصوات، فقد عرفه ابن جني قائلا:" انتحاء سمت الكلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كال تثنية، والجمع، والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس أهل العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها و إن لم يكن منهم وإن شد بعضهم عنها رد به إليها"[2].

المستوى الدلالي:

يعتبر علم الدلالة من أحدث فروع اللسانيات الحديثة الذي يهتم "بدراسة المعنى" [3]، دراسة وصفية موضوعية، فقد كان أول استعمال له على يد اللساني الفرنسي"ميشال بريال" Michel Breal في مقاله الذي صدر عام 1883م ثم فصل القول فيه في كتابه الموسوم "محاولة في علم الدلالة" Essai de sématique وذلك سنة 1897 [4]، وهذا يعني أن علم الدلالة يختلف عن فروع اللسانيات الأخرى بدراسته للأدلة اللغوية، أي بعبارة أخرى يدرس العلاقة التي ترتبط الدال بالمدلول، وقد كان يعني هذا المصطلح عند "بريال" بالبحث في دلالات ألفاظ

1-فارس محمد عيسى: "علم الصرف" ط1،دار الفكر، عمان، الأردن،2000م ، ص:32.

2-إبن جني:"الخصائص" تح: محمد علي نجار، ج1، المكتبة العلمية، ص:34.

3-أحمد مختار عمر: "علم الدلالة" ص:15.

4-ينظر: أحمد مؤمن : "اللسانيات النشأة والتطور" ص239.

اللغات القديمة والتي تنتمي إلى فصيلة اللغات الهندو أوروبية كاليونانية واللاتينية... [1]، وقد توصل-بريال- إلى عدة نتائج تحدد طبيعة هذا المصطلح، وهي أنه قام بتحديد المعاني عبر الزمن، كما أنه استخرج القوانين والقواعد المتحكمة في تغيير المعاني وتحولها وتطورها [2]، فمعنى مصطلح " Sémantique" عنده اقتصر في هذه الفترة على "الناحية التاريخية الاشتقاقية للألفاظ كأن تقارن الكلمة بنظائرها في الصورة والمعنى حتى يتنسى إرجاعها إلى الأصل معين، تفرع إلى عدة فروع في لغة أو أكثر 3، وهذا يعني أنه لم يستخدمه للإشارة إلى المعنى وإنما استخدمه للإشارة إلى تطور المعنى تاريخيا [4].

1-إبراهيم أنيس "دلالة الألفاظ"، ط2، المكتبة المصرية، 1963م ، ص:7

2-ينظر: فريد عوض حيدر: علم الدلالة، ط1 ، مكتبة الآداب، القاهرة،2005م،ص:13.

3-ابراهيم أنيس: دلالة الألفاظ،ص:7.

4-ينظر: صلاح الدين صلاح حسنين: الدلالة والنحو، ط1، مكتبة الأدب، ص:95، وينظر محمد الصحران علم اللغة المقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية: بيروت، لبنان، ص:291، 292.

الفصل الأول:

الجهود الصوتية عند الجاحظ من خلال

كتابه:البيان والتبيين

الفصل الأول: الجهود الصوتية عند الجاحظ من خلال كتابه:البيان والتبيين:

عني علماء العربية قبل عص ر الجاحظ بمسائل متعلقة بالدرس الصوتي ومنهم على سبيل الذكر: الفراهيدي–سيبويه–الفراء والأخفش.....

إذ أنهم تناولوا مجموعة من الدراسات الصوتية التركيبية التي لم يتناولها الجاحظ كالإبدال والإعلام والقلب والإدغام والإخفاء والإظهار والوقف والمعاقبة[1].

إضافة إلى بعض المعالجات التطبيقية لظواهر الإسكان، والإتباع والإشمام و الإمالة والتقاء الساكنين، والتثقيل والتخفيف، والحركة المركبة لم يتناول الجاحظ هذه المسائل.

والجاحظ وعلى الرغم من كونه من أصحاب المصنفات الأدبية، إلا أنه تنبه للظواهر الصوتية للغة العربية، عند الأعاجم، وعالج في كتابه: "البيان والتبيين"، الأصوات التي تدخلها اللثغة[2]. ودرس التلعثم الذي تنبهت إليه الدراسات الحديثة، فهو لم يؤلف كتابا خاصا بالأصوات بل يضمن إسهاماته في هذا المجال في كتابه البيان والتبيين، وكانت إسهاماته منقطعة النظير، فهو لم يقلد السابقين له تقليدا أعمى لكنه وبإفادته مما قدموه لفت أنظار قُرَائِهِ إلى ظواهر أخرى هو الرائد في مجالها، وهو حديثة عن عيوب النطق سواء أكانت عيوبا ناتجة عن نطق الأعاجم لأصوات العربية أم ناتجة عن نطق العرب وقبل ذلك كله نجد هقد عرف الصوت وأشار إلى الحروف الأكثر دور لنا في الكلام أوضح أهمية الأس رلن بالنطق وكذلك أشار إلى أهمية الحروف.

1–سيبويه، الكتاب،ج1،ط3،مكتبة الخانجي بالقاهرة 1988،ص:255.

2–الجاحظ، البيان والتبيين،ج12/1–ص85.

وأوضح بعض مخارج الحروف، كما أشار إلى تنافر الألفاظ وتنافر الحروف ويتضح اهتمام الجاحظ بالدرس الصوتي من خلال ما نجد في مؤلفاته من حديث الأصوات ففي الحيوان مثلا: نجده قد أشار إلى سرعة الصوت وتأثيره و ما يخترع الأصوات واللحون من الطير، فقال في سرعة الصوت . : "متى رأيت البرق سمعت الرعد بعد، والرعد يكون في الأصل قبله لا يصل إليك، إلا في سرعة البرق لأن البارق والبصر أشد تقاربا من الصوت والسمع، وقد ترى الإنسان وبينك وبينه رحلة،فيضرب بعض إما حجرا وإما دابة، وإما ثوبا فترى الضرب،ثم تمكث، وقتا إلى أن يأتيك الصوت"[1].

وقال في تأثير الأصوات:"وأمر الصوت عجيب وتصرفه في الوجود عجب فمن ذلك أن منه ما يقتل، كصوت الصاعقة، ومنه ما يسر النفوس حتى يفرط عليه السرور، فتقلق حتى ترقص، وذلك ما يزيل العقل حتى يغشى على صاحبه كنحو هذه الأصوات الش جية والقراءات الملحنة، وليس يعتريهم ذلك من قبل المعاني،لأنهم في كثير من الأحيان لا يفهمون معاني كلامهم، وقد بكى ما سرجويه من قراءة أبي الخوخ، فقيل له: "كيف بكيت من كتاب لا تصدق به؟ قال: إنما أبكاني الشجا، وبالأصوات ينومون الصبيان والأطفال"[2].

أولا: تعريف الجاحظ للصوت والحرف:

مصطلحا الحرف والصوت من الكلمات التي تردد ت في كتب الدارسين العرب القدماء كثيرا ومنهم الجاحظ، واستعمالهم لهذين اللفظين لم يكن بمعناه الاصطلاحي المتعارف عليه أن هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان الدارسون لا يفرقون بين الكلمتين (صوت–حرف)على الأقل حتى في عصر الجاحظ.

1–ينظر: الجاحظ، الحيوان:ج4، ص408.

2–المصدر نفسه،ص191.

فالجاحظ في معرض حديثه عن مكانة البيان في الوسط العربي خاصة من الناحية الاجتماعية ذكر واصل بن عطاء الذي: "....علم أنه ألثغ فأحشى اللثغ وأنّ مخرج ذلك منه تشريع، وأنّه إذا كان داعية مقالة ورئيس نحلة، وأنّه يريد الاحتجاج على أرباب النحل وزعماء الملل، وأنه لا بد له من مقارعة الأبطال، ومن الخطب الطوال، وأن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة، وإلى ترتيب ورياضة، وإلى تمام الآلة، وإحكام الصنعة، وإلى سهولة المخرج وجهارة المنطق وتكميل الحروف وإقامة الوزن."[1]

وفي موضوع أخر نجده قد تعرض لقصة النبي موسى عليه السلام،ومن الحجج البالغة، ومن العلامات الظاهرة والبرهانات الواضحة إلى أن حل الله تلك العقدة وأطلق تلك الح بسة[2] حيث قال:"وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي".

من أجل الحاجة إلى حسن البيان، وإعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة، ذهب أبو حذيفة إسقاط الراء من كلامه، وإخراجها من حروف منطقه، فلم يزال يكابد ذلك ويغالبه ويناضله ويساجله.

ثانيا: مخارج وصفات الأصوات عند الجاحظ: (سلامة الأصوات واستقامتها تأتي من سلامة مخارجها واستقامتها:

وقد أشار الجاحظ إلى مسألة صوتية غاية في الأهمية وهي عن أكثر الحروف دورانا في الكلام، فقال أنشدني ديسم، قال أنشدني أبو محمد اليزيدي:

وَخُلَّةُ اللَّفْظِ في اليَاءَاتِ إِنَّ ذُكِرتْ كَخِلَّةِ اللَّفظِ في اللاَّمَاتِ والأَلِفِ.

1-ينظر :الجاحظ،البيان والتبيين،ج1،ص14.

2-ينظر :المصدر نفسه،ص15.

وخِصْلَةُ الرَّاء فيها غيرِ خَافِيَةِ فَأَعْرِفُ مَواقِعَهَا في القولِ والصحفِ.

يزعم أن هذه الحروف أكثر ترددا من غيرها، وبالحاجة إليها أشد، قال: وأعتبر ذلك بأن تأخذ عدة رسائل وعدة خطب من جملة خطب الناس ووسائلهم، فإنك متى حصلت جميع حروفها وعددت كل شكل على حدة علمت أن هذه الحروف الحاجة إليها أشد1.

ولبيان ذلك نعرض خطبة قصيرة للنبي صلى الله عليه وسلم، بعشر كلمات حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: " أيها الناس، إن لكم معالم فانت بهوا إلى معالمكم، وإنا لكم فانتبهوا إلى نهايتكم، إن المؤمن بين مخافتين بين عاجل قد مضى لا يدري ما الله صانع به، وبين أجل قد بقي الله ما فاض فيه، فليأخذ العبد من نفس لنفسه، ومن دنياه لأخرته ومن الشيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الموت، فوالذ ي نفس محمد ما بعد الموت من م شعب ولا بد لدنيا من دار، إلى الجنة أو النار"2.

الألـــــــــــــف :

أيها	الناس	نهاية	مخافة

اليـــــــــــاء

نهاية	الشبيه	الحياة	دنياه

الـــــــــــــلام

1-ينظر:المصدر السابق،ج2،ص22

2-ينظر:المصدر نفسه،ج1،ص123.

أخرته	الكبر	النار	الدار

الـــــــــــراء

آخرته	الكبر	النار	الدار

نلاحظ تكرار كل الحروف من الحروف المذكورة أربع مرات في تلك الخطبة، هذه الحروف التي وصفها الجاحظ بأنها أكثر ترددا في الكلام أهلته ليكون رائدا هذه الظاهرة في علم اللغة التطبيقي[1].

لقد بين الجاحظ أسس هذا العلم يقوله:" يزعم أن هذه الحروف أكثر ترددا من غيرها ، وبالحاجة إليها..."[2]، كذلك أشار في موضع أخر إلى أسهل الحروف نطقا عند بعض الأمم فقال:" لكل لغة ألفاظ تدور في أكثر كلامها، كنحو استعمال الروم للسين واستعمال الجرامقة للعين"[3]

أما الميم والياء ففيهما قال الجاحظ: والميم والياء وأول ما يتهيأ في أفواه الأطفال، كقولهم: ماما بابا،لأنهما خارجان من عمل اللسان، إنما يظهران بالتقاء الشفتين [4].

ويكمن سر نطق الأطفال في أن الشفتين موجودة بوجود الطفل أما الأسنان فتتكون بعد مرحلة عمرية معينة، وكذلك اللسان تحتاج إلى تمرين لا يستطيع الطفل في ذلك الحين.

1-ينظر:جاسم: اللغة التطبيقي في التراث العربي الجاحظ أنموذجا،دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 40.ع 2، سنة 2013م -ص311.

2-الجاحظ،البيان والتبيين ج2،ص65.

3-الجرامقة:طائفة الدلدانيين أي السيريانيين.

4-ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين،ج1،ص23.

تعريف اللسان:

تنبه الجاحظ أيضا إلى أهمية اللسان فقال على لسان خالد بن صفوان:" ما الإنسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة أو بهيمة مهملة"[1].

فلولا اللسان بوصفه جارحة اللغة المنطوقة، لكان الإنسان في عداد البهائم، أو مجرد صورة خرقاء جوفاء لا لب لها.

كما أنه عرفه كمال بشر ب: هو من أعضاء النطق وقد سميته به اللغات واللهجات، فيقال لسان عربي ويقصد اللغة العربية[2]

لقوله تعالى:"وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ"[3]

ويرى إبراهيم أنيس أن: اللسان عضو هام في عملية النطق،لأنه مرن وكثير الحركة في الفم.

أهمية الأسنان في النطق:

تنبه الجاحظ إلى الأهمية القصوى للأسنان قي عملية النطق وسلامة الأداء اللغوي، حيث قال: قال سهل بن هارون: لو عرف الزنجي فرط حاجته إلى ثناياه وذلك لأن للأسنان دورا كبير في نطق الكثير من أصوات عربية، مثل الظاء والذال، والتاء والنون، الدال والثاء،فمخرج الدال والثاء يكون بالتقاء طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا أما الظاء والذال

1- ينظر: المصدر السابق،ج1،ص24.

2-كمال بشر:علم اللغة العالم، الأصوات العربية مكتبة الشباب،مصر، د ط ،د ت،ص71.

3- سورة إبراهيم، الآية 4.

والتاء فمخرجهما مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا [1].فمخرج النون من طرف اللسان بينه وما بين فويق الثنايا[2]، لكن مخرج الفاء بين باطن الشفه السفلي أطراف الثنايا العليا[3].

ولأهمية الأسنان بالنسبة للخطباء قال الجاحظ:" قال خلاد بن يريد الأرقط: خطب الجمحي خطبة نكاح أصاب فيها معاني الكلام، وكان في كلامه ص فيو يخرج من موضع ثناياه المنزوعة، فأجابه زيد بن علي بن الحسين بكلام في جودة كلامه، إلا أنه فضله بحسن المخرج، والسلامة من الصفير"[4].

ومن الملاحظات القيمة التي ذكرها الجاحظ عن علاقة الأسنان وتواجدها بالنطق ما ذكره عن الأهتم، إذ يقول:...."وليس شيء من الحروف أدخل في باب النقص والعجز من فم الأهتم من الفاء والسين إذا كانا في وسط الكلمة"[5].

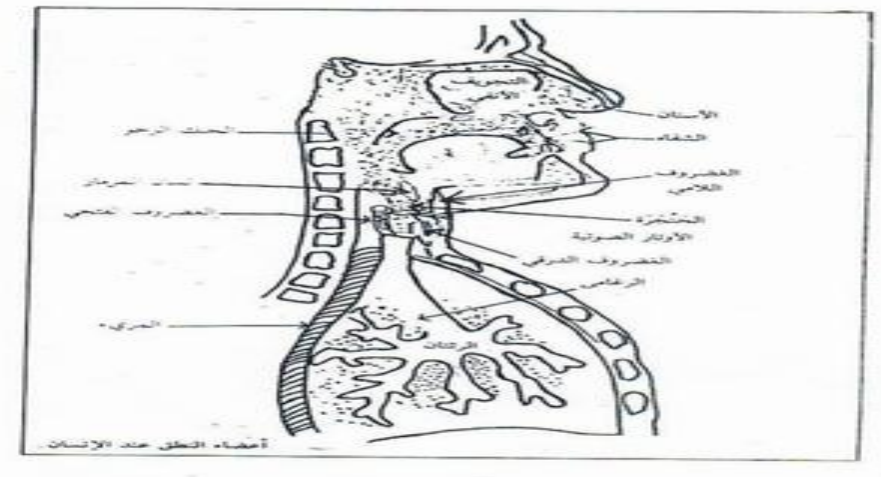

رسم تخطيطي يوضح أعضاء النطق عند الإنسان [1]

1-الجاحظ: البيان والتبيين،ص59.
2-ينظر: المصدر نفسه ص59
3- ينظر: المصدر نفسه،ص59.
4-ينظر: المصدر نفسه،ص60.
5- ينظر: المصدر نفسه،ص60.

أعضاء النطق عند إبراهيم أنيس:[1]

الرقم	أعضاء النطق:
01	الرئتان: يشبهان منفاخين يشتملان على مجموعة من الأكياس التي ترتبط ببعضها البعض
02	القصبة الهوائية:فراغ رنان مؤلف من حلقات غضروفية،وتقع بموازرة العمود الفقري
03	الحنجرة:هي عبارة عن حجرة متسعة ومكونة من ثلاث غضاريف
04	الوتران الصوتيان:يشبهان الشفتين يمتدان من الحنجرة من خلف إلى الأمام ويلتقيان عند تفاحة آدم
05	الحلق: هو الجزء الواقع بين الحنجرة والفم،يسمى أيضا بالفراغ الحلقي
06	اللسان:عضو مرن قابل للحركة
07	الحنك الأعلى: هو العضو الذي يتصل به اللسان في أوضاع مختلفة ويتكون من ثلاثة أجزاء
08	الفراغ الأنفي:فراغ رنان يضخم بعض الأصوات
09	الأسنان:من أعضاء النطق الثابتة،وهناك أسنان عليا وأسنان سفلى
10	الشفتان:من أعضاء النطق المتحركة،يساهم في انطباقها وانفراجها في نطق كثير من الأصوات مثل الميم والباء

ثالثا: حسن التأليف بين الحروف(التآلف-التشكيل الصوتي):

إن دراسة أصوات اللغة في الدرس اللساني الحديث تتم ضمن نمطين اثنين:

1 - **الدراسة الصوتية النطقية: Articulation**: التي تتوخى كيفية وصف كيفية إنتاج أصوات الكلام، ووصف مخارج الحروف التي تشكل الصوت اللغوي الصحيح بحيث لا

1-المرجع السابق،ص20.

تتنافر الحروف مراعاة لسير النطق وثبات الصوت في الاستعمال إذ تأكد لدى العلماء اللغة القدامى أن الكلمات المندثرة كان أغلبها مؤلفا من حروف صعبة التجاوز.

2- الدراسة الصوتية السمعية: Acoustique: التي تدرس خصائص الفيزيائية للصوت اللغوي المنطوق، يقول الجاحظ، وهو يعرض صفات الحروف التي تتوافق لتشكل لفظا صحيحا والحروف المتنافرة والتي تجتمع ليس في لسان العرب فحسب بل وفي ألسنة العجم من الفرس والأجناس غير العربية[1]، فأما في الاقتران الحروف فإن الجيم لا تقارن الظاء و لا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا بتأخير[2].

إن الجاحظ بهذا التحليل لطبيعة الحروف يحاول وضع أسس للصوت بحسب قوته من الجهر والهمس، فالحروف التي تختلف في السمات الصوتية تكون أقرب إلى المجاورة من الحروف التي تتفق في ذلك.

فالجيم صوت مجهور لا يقع مجاورا لصوت الظاء أو القاف أو الطاء ولا الغين لكون هذه الحروف لها سمات الجهر كذلك، وهو ما استخلصته الألسنية الحديثة التي صنفت الحروف إلى مخارج وتأكدت استحالة تأليف لفظ من حروف تنتمي لذات المخرج النطقي وإنما اللفظ الذي تتوفر فيه سمات النطق الصحيح هو المؤلف من الحروف متباعدة المخارج مختلفة السمات الصوتية...

والبيان عند الجاحظ يقتضي عدم التنافر بين مجموع الألفاظ التي تؤلف الجملة حتى أنه ينقل القول الشاعر:

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفِرْ[18] وَلَيْس قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرِ

1-ينظر:المصدر نفسه ج1،ص51.

2-ينظر : المصدر نفسه:ص79.

ولصعوبة إنشاده ثلاث مرات متتالية ظن البعض من اللغويين أنه من أشعار الجن، وذلك لما بين كلماته من تنافر يعسر نطقها مجتمعة في سياق واحد، ولما في إنشادها من الاستكراه والنحو والبلاغة عند الجاحظ ليس إلا أن تؤلف في نسق صحيح بين كلمات أو بين حروف اللفظ ثم تراعي حسن موقع المعنى من ذلك لتقذفه إلى سمع المتكلم، فإذا هو يعيه ويستوعبه يقول الجاحظ:" لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك" [1]، ثم إن القدر المساوي بين اللفظ والمعنى يقتضي أن يصرف المتكلم كلامه على وجه لا إطناب فيه، ولا حشو لأن تأليف الكلام سليم واقتضاؤه للمعنى الصحيح، يقول الجاحظ:" ... وإنما الألفاظ على أقدار المعاني فكثيرها لكثيرها،وقليلها لقليلها، وشريفها لشريفها، وسخيفها لسخيفها، والمعاني المصغرة البائنة بصورها وجهاتها تحتاج من الألفاظ إلى أقل ما تحتاج إليه المعاني المشتركة والجهات المتلبسة"[2].

فعلى قدر المعاني تأتي الألفاظ إلى أقل ما تحتاج إليه المعاني تأتي الألفاظ فقد تكفي الإشارة الحقيقية للمعنى الظاهر البعيد عن اللبس وقد تتطلب المعاني الخفية التي تحتمل دلالات كثيرة إلى الألفاظ كثيرة القصد إجلاء الدلالات المشتركة والإبانة عن المعنى المراد.

إن إدراك الجاحظ إلى أن اللفظ هو عبارة عن مقاطع صوتية تنتج عنها حروف وأصوات، ليعبر عن القدرة التي أوتيها في معاينة اللغة يضاهي ذلك ما أشار إليه أندري مارتيني في قوله بالتلفظ المزدوج: Artculation Double: يقول الجاحظ:" الصوت وهو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف... ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف"[3].

1-ينظر:الجاحظ، الحيوان،تح عبد السلام محمد هارون ج6، مصر 1386،ص8.

2-ينظر الجاحظ،البيان والتبيين،ج1،ص84.

3-ينظر:المصدر السابق،ص84.

تجدر بنا الإشارة إلى أن مصطلح التلفظ المزدوج، أي ظاهرة تمفصل اللغة إلى مستويات، لم تظهر عند مارتيني أول الأمر، فقد نص أرسطو بأن الصوت اللغوي البشري يتميز عن صوت الحيوان، كونه قابلا للتمفصل، كما أن دي سوسير أشار إلى الأمر، مؤكدا أن الكلام يمكن تجزئته إلى مجموعة من مقاطع[1]، فمارتيني إذن لم ينطلق من فراغ ولم يدع ذلك، بل استفاد ممن سبقه خصوصا محاضرات دي سوسير، فهو متأثر بالمنهج البنيوي في تحليله للظواهر اللغوية، وبالتركيز على هذه الخاصية، صاغ نظرية لسانية أثبتت نجاعتها مع هذه الظواهر، وهو ما يتجلى في قوله–في الفصل الأول– من كتابه، معللا التلفظ المزدوج:

On entend souvent dire que le langue humain est articulé… il Convient tout fois de préciser cette notion d'articulation du langage et De noter qu'elle manifeste sur deux plans différents…

رابعا: عيوب النطق والكلام:

تمهيد: اعتنى المتكلمون عموما والمعتزلة خصوصا بمباحث البيان وقضاياه، منذ النشأة الأولى لهم ، لما لهذا البيان من دور في وجودهم كالفرقة الدينية يرتكز أساسا على الدعوة والجدل والمناظرة و المقارعة وحجج الخصوم، لعل الجاحظ أول من وضع كتابا في البيان، جمع فيه أقوال وأراء المتقدمين والمعاصرين له، من عرب وعجم فلم يكن مجرد جامع فقط، بل كان إضافة الجمع محللا ومناقشا، مفندا حينا ومؤكدا حينا آخر، رغم ما عيب على منهج الجاحظ:" إن الإبانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تضاعيفه ومنتشرة في أثنائه، فهي ضالة بين الأمثلة لا توجد إلا بالتأمل الطويل والتصفح الكثير"[2].

1- André martinet, éléments de linguistique générale ;2,p13.

2-ينظر أبو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر،تح: علي محمد البجاوي محمد أبو الفضل إبراهيم،منشورات المكتبة العصرية، بيروت،دط،ج1،سنة 1986م،ص05.

تعددت مناحي البيان عند الجاحظ، من ديني، وذلك من خلال العودة إلى نصوص قرآنية، وأحاديث نبوية، لينتهي إلى إثبات أن الأمة العربية، أمة بيان وأن ممكن عبقريتها في لسانها، ولهذا نزل القرآن الكريم بوصفه كتابا سماويا معجزا، أما المنحى الثاني مفهومه مذهبي، فالمعتزلة بوصفها فرقة أو مذهبا دينيا أعتمد العقل مقارعة الحجة بالحجة واللسن واللدد ، كان الجاحظ، وهو المعتزلي يتصدد الحجج الدامغة، والأدلة البي نة للرد على مطاعن الشعوبية، التي دأبت على الانتفاض من قيمة العرب البيانية حسدا من عند أنفسهم.

أما المنحى الثالث للبيان فهو المنحى الأدبي والفني الذي يرتبط بموضوع عيوب النطق ارتباطا وشيجا،إذا ما كان للجاحظ أن يدرس موضوع عيوب النطق لو لم يتحدث عن الخطابة، بوصفها معلما بيانا فقد استوقفه أحد أشهر خطباء ذلك الزمن فهو واصل بن عطاء الذي كانت تعرض له الثقة في حرف كثير الدوران في الكلام وهو حرف الراء، وصف الجاحظ لثغته بالقبح والشناعة والفحش [1]، وبالتالي ما عيوب النطق التي درسها الجاحظ في مدونته إلا صور معينة للبيان سواء انصرف هذا البيان إلى مدلوله العام وهو الوضوح وبالإبانة، أم المدلول الخاص، ونعني به اللغة في أسمى مراتب فنية والجمال.

مفهوم البيان:

ساق الجاحظ تعريفا جامعا مانعا للبيان فهو: اسم جامع لكل شيء، كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقة، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يهدف إليها القائل والسامع وإنما هو الفهم والإفهام: فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع [2]، استنطاقا لهذا التعريف تبين بأن للبيان مدلولين اثنين:

1-الجاحظ: البيان والتبيين،ج1،ص13-15.

2-المصدر نفسه،ص55.

أما المدلول الأول فما اشتركت فيه عامة الناس الذين يتوحدون في مجتمع لساني... في حين ينصرف المدلول الثاني للبيان ذي منحى الفني الجمالي الذي لا يصدر إلا عن الخاصة ولا يتوجه إلا عليها.

وفي سياق ذي صلة بالتعريف السابق يربط الجاحظ بيانه بالدلالة في قوله:..." والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان، الذي سمعت الله عز وجل يمدحه ويدعو إليه ويحث عليه"[1].

ربط التعريف السابق البيان بالدلالة على المعنى التي أجملها الجاحظ في أصناف البيان ،حينما قال:" وجميع أضاف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد، أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة، والنصبة هي الحالة الدالة، التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصر على تلك الدلالات"[2].

قسم الجاحظ أصناف الدلالات على المعاني إلى نوعين هما:

أ-دلالات لفظية: تتضمنها العلامات اللسانية، فهي متعلقة باللغة وقضايا سواء على مستوى الكلمة أو على مستوى التركيب والمقصود بالدلالة أن تكون الكلمة متكونة من أصوات وحروف دالة على معنى معين لتطلق هذه الدلالة على اللفظ الحامل لهذا المعنى، وتنحصر هذه الدلالات اللفظ والخط.

ب-دلالات غير لفظية: تمثل علامات غير لسانية، تخصص علوم الإشارات (Semiologié)، في دراستها من جميع الجوانب، رتب الجاحظ هذه العلامات بقوله:" الإشارة ثم العقد ثم الحال التي تسمى نصبة"[3].

1-المصدر نفسه، ص55.

2-المصدر السابق:ص56.

3-المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

ولارتباط عيوب النطق باللفظ المنطوق لا الخط، هذا من جهة ومن جهة أخرى دوران عيوب النطق في فلك الخطابة، فـبالنظر لهذين الاعتبارين، تركز حديثنا على اللفظ بوصفه صنفا من أصناف الدلالات اللفظية أو لسانية، ثم الإشارة لارتباطها بالخطابة باعتبارها صنفا غير لفظي أو غير لساني.

اللفظ: ما اللفظ في حقيقة أمره إلا مجموعة أصوات تخرج من الفم بفضل حركات اللسان والفكين والشفتين، تألف مقاطع ثم كلمات ثم جملا منثورة أو موزونة، وهو ما يدل على خاصيتين متلازمتين للفظ وهما الخاصية الصوتية المرتبطة بالخاصية الفيزيولوجية ممثلة في اللسان[1].

اقتران الحروف: ما من لغة من لغات العالم، إلا ولها حروفها الخاصة بها التي تـتشكل منها أبجديتها، ومن ثم لغتها، وتختلف الأبجديات، باختلاف الحروف[2].

نقل الجاحظ عن الأصمعي :" ليس للروم ضاد، ولا للفرس التاء ولا للسرياني ذال"[3]، كما تبين له كثرة دوران حرف دون سواه في كلام قوم دون قوم:" كنحو استعمال الروم للسين واستعمال الجرامقة للعين"[4].

يحدث اقتران الحروف فيما بينها بالنظر إلى اعتبارين هما: مخرج الحرف وصفته أي ضرورة تجنب الجمع بين الحروف المتنافرة بسبب قرب المخرج والصفة قربا شديدا أو البعد بعدا شديدا تجنبا للتنافر.

تتبع الجاحظ مجاميع الحروف المتنافرة، حصرها في الأتي:

1- الأعلم الشمنتري، النكت في التفسير الكتاب سيبويه،تح: رشيد بلحبيب، وزارة الأوقاف، المغرب،1999،ج1،ص200.

2-المرجع السابق،ص200.

3-الجاحظ:البيان والتبيين،ص:48.

4-المصدر نفسه والصفحة نفسها.

الجيم لا تقارن الضاء ولا القاف ولا طاء ولا الغين بتقديم ولا بتأخير الزاي لا تقارن الظاء ولا سين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا تأخير[1].

أدرك الجاحظ مدى أهمية تنافر الحروف فيما بينها، قام بالتعليق على هذه الظاهرة قائلا:" وهذا باب كبير، قد يكتفي بذكر القليل حتى يستدل به على الغاية التي إليها يجري"[2].

اقتران الألفاظ: يقصد به الكلام الذي لا تتنافر أجزاءه، ولا تتباين ألفاظه ف:" حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر، تراها متفقة ملسا ولينة المعاطف سهلة... لينة ورطبة مواتية سلسلة النظام خفيفة على اللسان، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد " [3] ، يستدل من هذا التعريف على أن منشأ اقتران الألفاظ فيما بينها استيفاؤها جملة من المقاييس النقدية كاتفاق الحروف فيما بينها وسهولة مخرجها وسلاسة نظام وحروفها، ومن ثمة خفتها على اللسان لهذا كان أجود الشعر:" ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج فتعلم بذلك أنه قرأ أفرغ إفراغا واحدا وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري على الدهان"[4].

خامسا: مراتب عيوب النطق والكلام:

- **عيوب الألفاظ:**

الفصاحة تقتضي سلامة اللفظ المفرد أولا، ثم فصاحة الكلام المركب من الجمل، والفصاحة في المفرد عند البلاغيين تكون بتجرده عن ثلاثة عيوب، وهي عندهم: «خلوصه من تنافر الحروف، والغرابة، ومخالفة القياس».[5]

والتنافر بين الحروف يرجع إلى بنية الكلمة أساسا، وذلك عندما لا يكون هنالك تجانس صوتي بين حروفها مما سبب صعوبة النطق بها وهو معيب عند الفصحاء، ويعبر البلاغيون عن

1-المصدر نفسه، ص51.

2-المصدر نفسه والصفحة نفسها.

3- المصدر نفسه، ص50.

4-المصدر نفسه،ص نفسها.

5- الخطيب القزويني، التلخيص، شرح الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي ، دط، دت، ص26.

ذلك بقولهم: والتنافر منه ما تكون الكلمة بسببه متناهية في النقل على اللسان، وسر النطق بها، كما روي أن أعرابيا سئل عن ناقته، فقال: (تركتها ترعى الهُعْخُعَ) ومنه مادون ذلك كلفظ مستشزرات في قول امرئ القيس:*فَدَئِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتُ إِلى العُلاَ*[1]

ولاشك أن هذه الحروف بنية الكلمات والغاية بها هو أساس وجود النص الجيد ولذلك قال الباقلاني: « وعذوبة الشعر تذهب بزيادة حرف أو نقصان حرف فيصير إلى الكزازة، وتعود ملاحته بذلك مُلوحة، وفصاحته عيا، وبراعته تكلفا، وسلامته تعسفا وملاسته تلويا وتعقد»[2]

بل لقد اشترط الأسلاف أيضا خفة الحركات في الكلمة الواحدة لكي يسهل النطق بها، يقول ابن الأثير: «ومن أوصاف الكلمة أن تكون مبنية من حركات خفيفة، ليخف النطق بها، وهذا الوصف يترتب على ما قبله من تأليف الكلمة، ولهذا إذا توالى حركتان خفيفتان في كلمة واحدة، لم تستثقل، وبخلاف ذلك الحركات الثقيلة، فإنه إذا تولى منها حركتان في كلمة واحدة استثقلت، ومن أجل ذلك استثقلت الضمة على الواو، والكسرة على الياء، لأن الضمة من جنس الواو، والكسرة من جنس الياء فتكون عند ذلك كأنها حركتان ثقيلتان».[3]

وأما الغرابة فهي : « أن تكون الكلمة وحشية، لا يظهر معناها، فيحتاج في معرفته إلى أن ينقر عنها في كتب اللغة المبسوطة، كما روي عن عمر بن عيسى النحوي أنه سقط عن حمار، فاجتمع عليه الناس، فقال (ما لكم تكأكأتم عليّ تكأكُؤكُم على ذي جنة؟ إِفْرَنْقَعُوا عني). أي اجتمعتم تنحوا.

أو يخرج لها وجه بعيد، كما في قول العجاج: وَفَاحِمَا ومَرْسِنَا مُسْرِجَا، فإنه لم يعرف ما أراد بقوله (مسرجا) حتى اختلف في تخريجه فقيل هو من قولهم للسيوف: (سيوف سريجية)،

---

[1]– الخطيب القزويني: الأيضاح في علوم البلاغة، شر: د محمد ع المنعم حقاجي، ج1، دار الكتل اللبنانية، ط5، 1403، ص72–73.

[2]– الباقلاني، إعجاز القرآن ، تح: السيد صقر، دار المعارف، بمصر، ط3، ص220.

[3]– ابن الأثير، المثل السائد في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي، ج6/1، دار النهضة ، مصر، القاهرة، دط، دت، ص207.

منسوبة إلى قَيْن يقال له: سُرَيْج، يريد أنه في الاستواء والدقة كالسيف السريجي، وقيل: من السراج يريد أنه في البريق كالسراج وهذا يقرب من قولهم (سَرجَ وجهه) بكسر الراءِ أي: حَسُنَ و(سرَّجَ الله وجهه) أي: « بهجه وحسنه».[1]

والعيب الثالث الذي يعتري اللفظة المفردة " ومخالفة القياس،

كما في قول الشاعر: الحَمْدُ لِلَّهِ العَلِي الأَجْلَل.

فإن القياس: (الأجلّ) بالإدغام وقيل خلوصه مما ذكر ومن الكراهة في السمع، بأن تُمِجَّ الكلمة ويَتَبَرأُ من سماعها، كما يُتَبَرَّأُ من سماع الأصوات المنكرة، فإن اللفظ من قُبَيْلَ الأصواتِ، والأصوات منها ما تَسْتَلِذُ النفس سماعه، ومنها ما تكره سماعه، كلفظ (الجِرشِيَّ) في قول أبي الطيب: كَرِيمِ الجِرشِيَّ شَرِيفِ النَسَبْ، أي كريم النفس، وفيه نظر، ثم علامة كون الكلمة فصيحة أن يكون استعمال العرب الموثوق بعربيتهم لها كثيرا، أو أكثر من استعمالهم ما بمعناها.[2]

وينبه الجاحظ إلى أنه عادة ما يميل الناس إلى استخدام " الألفاظ السهلة" « وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها، وغيرها أحق بذلك منها، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السَغَبْ، ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة»[3]

وبسبب تتبع هذه السهولة ربما تركت العامة الفصيح واتبعت ما هو أقل فصاحة، يقول الجاحظ: « والعامة ربما استخفت أقل اللغتين وأضعفهما، وستعمل ما هو أقل في أصل اللغة استعمالا، وتدع ما هو أظهر وأكثر، ولذلك صرنا نجد البيت من الشعر قد سار، ولم يسر ما هو أجود منه، وكذلك المثل السائر»[4]

([1]): الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ج1، ص73.

[2]– مصدر نفسه، ج نفسه، ص74.

[3]– الجاحظ، البيلن والتبيين، ج1، ص21.

[4]– المصدر السابق، ص20.

وهذا أمر مهم للغاية لفت الجاحظ الأنظار إليه، يحمل في طياته ضرورة مراعاة أحوال الناس وفطرتهم، فلا ينبغي أن يكون هم الأديب أو الشاعر قصيد الغريب، والتحدث بلغة لا يفهمها الناس، وإنما ينبغي مراعاة أحوالهم لأن رسالة الأدب موجهة في الأصل إليهم، وذلك انتقد أبو هلال العسكري منهج المفضل الذي كان يتبع غريب اللغة، ويتعد عما هو شائع مشهور يقول: « وكان الفضل يختار من الشعر ما يقل تداول الرواة له، ويكثر الغريب فيه، وهذا خطأ من الاختيار، لأن الغريب لم يكثر في كلام إلا أفسده، وفيه دلالة الاستكراه والتكلف»[1]

ولأن مراعاة أحوال الناس ضرورة فهم بطبعهم ينزعون إلى السهولة في الألفاظ والتراكيب فقد دعا الجاحظ إلى إلقاء النوادر كما هي، وعدم التلاعب بحروفها وكلماتها يقصد إصلاح اللحن فيها، لأن ذلك سيفسد جمالها، ولا يتقبلها الناس بعد ذلك.

يقول: « ومتى سمعت حفظك الله بنادرة من نوادر كلام الأعراب، فإياك أن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارج ألفاظها، فإنك إن غيرتها بأن تلحق في إعرابها وأخرجتها مخارج كلام المولدين والبلديين، خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير، وكذلك سمعت بنادرة من نوادر العوام، ومُلحة من مُلح الحشوة والطّغام، فإياك أن تستعمل فيها الإعراب، أو تتخير لها لفظا حسنا، أو تجعل لها من فيك مخرجا سريا، فإن ذلك يفسد الإمتاع بها، ويخرجها من صورتها ومن الذي أريدت له، ويذهب استطابتهم إياها واستملاحهم لها».[2]

- **عيوب التراكيب:**

تحدث العلماء عن أهمية رصف الكلام وحسن سبكه، يقول العسكري: « أجناس الكلام المنظوم ثلاثة: الرسائل، والخطب، والشعر. وجمعيتها تحتاج إلى حسن التأليف وجودة التركيب، وحسن التأليف يزيد المعنى وضوحا وشرحا، ومع سوء التأليف ورداءة الرصف والتركيب شعبة من التعمية، وفإذا كان المعنى سببيا، ورصف الكلام رديا لم يوجد له قبول،

[1]– أبو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، ج1، ص11.

[2]– الجاحظ، البيان والتبين، ج1، ص 145–146.

ولم تظهر عليه طلاوة... وسوء الرصف تقديم ما ينبغي تأخيره منها، وصرفها عن الوجود، وتغيير صيغتها، ومخالفة الاستعمال في نظمها »[1]

وبين أبو هلال العسكري السبيل الأمثل لصناعة الكلام الجيد، يقول: " إذا أردت أن تصنع كلاما فاخطر معانيه ببالك، تذوق له كرائم اللفظ، واجعلها على ذكر منك، ليقرب عليك تناولها،ولا يتعبك تطلبها، وأعمله مادمت في شباب نشاطك، فإذا غشيك الفتور، وتخونك الملال، فامسك فإن الكثير من الملال قليل، والنفيس مع الضجر خسيس، والخواطر كالينابيع، يسقى منها شيء، بعد شيء، فتجد حاجتك من الري، وتنال أوبك من المنفعة، فإذا أكثرت عليها نضب ماؤها، وقل عنك غناؤها".[2]

والتراكيب هي الجمل المركبة من الكلمات المفردة، والتي يتكون من اجتماعها وتآلفها النص الأدبي، ولابد حتى تكون سليمة من أن تتجنب العيوب التي ذكرها البلاغيون، وهي " في الكلام: « خلوصه من ضعف التأليف، وتنافر الكلمات، والتعقيد، مع فصاحتها».[3]

ويعنون بالضعف عدم إتباع الذائع الصحيح من قواعد النحو العربي، « فالضعف كما في قولنا: (ضرب غلامُهُ زيدا) فإن رجوع الضمير إلى المفعول المتأخر لفظا ممتنع عند الجمهور لئلا يلزم رجوعه إلى متأخر لفظا ورتبة »[4]

وأما التنافر فهو عدم الانسجام الصوتي بين المفردات التي يتركب منها الكلام، والتنافر: منه ما تكون الكلمات بسببه متناهية في النقل على اللسان، وعسر المنطق بها متتابعة، كما في البيت الذي انشده الجاحظ:

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانِ قَفْرِ وَلَيْسَ قُرْبَ قُبْرِ حَرْبٍ قَبْرْ.

ومنه ما دون ذلك كما في قول أبي تمام:

---

[1]– أبوهلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، ج1، ص179.

[2]– المرجع السابق، ص151.

[3]– الخطيب القزويني، التلخيص، ص26.

[4]– الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ج1، ص 74–75.

كَرِيمُ مَتى أَمْدَحُهُ اَمْدَحُهُ والوَرَى مَعِي وَإِذَا مَا لُمْتَهُ وَحْدِي.

فإن في قوله: (أمدحه) ثقلا ما، لما بين الحاء والهاء من التنافر.[1]

وأما التعقيد فهو يسبب خفاء الدلالة بسبب سوء النظم أو فساد في المعنى، ويعبرون عنه بقولهم:« ... والتعقيد أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد به، وله سببان».

أحدهما: ما يرجع إلى اللفظ، وهو أن يختل نظم الكلام، ولا يدري السامع كيف يتوصل منه إلى معناه، كقول الفرزدق:

وَمَا مَثَلَهُ في النَاس إلاَّ مَمْلَكَا أَبُو أُمِهِ حَيُّ أَبُوهُ يَقَارِبُهُ

كان حقه أن يقول: وما مثله في الناس حي يقاربه، إلا مملكا أبو أمه أبوه... فالضمير في (أمه) للمملك وفي (أبوه) للممدوح، ففصل بين (أبوه وأمه) وهو مبتدأ، و(أبوه) وهو خبره بـ: (حي) وهو أجنبي وكذا أفصل بين (حي) و(يقاربه) وهو نعت حي بـ (أبوه) وهو أجنبي وقدم المستثنى على المستثنى منه، فهم كما تراه في غاية التعقيد.

فالكلام الخالي من التعقيد اللفظي: ما سلم نظمه من الخلل، فلم يكن فيه ما يخالف الأصل من تقديم أو تأخير، أو إظهار أو غير ذلك إلا وقد قامت عليه قرنية ظاهرة لفظية أو معنوية...

والثاني: ما يرجع إلى المعنى، وهو لا يكون انتقال الذهن من المعنى الأول إلى المعنى الثاني الذي هو لازمه والمراد به ظاهرا، لحقول العباس بن الأحنف:

سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدَارِ عَنْكُمُ لِتَقْرَبُوا وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدُموعَ لِتَجْمَدَا

كني بسكب الدموع عما يوجبه الفراق من الحزن وأصاب...ثم طرد ذلك في نقيضه فأراد أن يكنى عما يوجبه دوام التلاقي من السرور بالجمود، لظنه أن الجمود خلو العين من البكاء مطلقا من البكاء من غير اعتبار شيء آخر، وأخطأ لأن الجمود خلو العين من البكاء في حال إرادة البكاء منها، فلا يكون كناية عن المسرة، وإنما تكون كناية عن البخل».[2]

[1]– المرجع السابق، ص75.

[2]– المرجع السابق، ج1، ص76–77.

ولا يدخل التعقيد ما نسميه اليوم بالغموض الفني، بسبب استعمال الاستعارات أو التفنن في الأداء الفني، فذلك مما هو مطلوب في الأدب، وفي هذا الصدد قال الشيخ عبد القاهر: « واعلم أن من شأن الاستعارة أنك كلما زدت إرادتك التشبيه إخفاء، ازدادت الاستعارة حسنا، حتى إنك تراها أغرب ما تكون إذا كان الكلام قد ألقى تأليفا إن أردت أن تفصح فيه بالتشبية خرجت إلى شيء تعافه النفس ويلفظه السمع».[1]

كما لا يدخل في التعقيد أيضا أبيات المعاني، يقول القاضي الجرجاني: « وليس في الأرض بيت من أبيات المعاني لقديم أو محدث إلا معناه غامض مستتر، ولولا ذلك لم تكن إلا كغيرها من الشعر، ولم تفرد فيها الكتب المصنفة وتشغل باستخراجها الأفكار الفارغة، ولست فريد القسم الذي خفاء معانيه واستتثارها من جهة غرابة اللفظ وتوحش الكلام».[2]

ويذكر الخطيب القزوين تصور أخر لفصاحة الكلام يقول:"وقيل: فصاحة الكلام هي خلوصه مما ذكر، ومن كثيرة التكرار وتتابع الإضافات، كما في قول أبي الطيب: *سَبُوحُ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ*.

وفي قول ابن بابك: *حمامة جرْفى حَومة الجندل اسجعي*

وفيه نظر، لأن ذلك إن أفضى باللفظ إلى الثقل على اللسان، فقد جعل الاحتراز عنه بما تقدم، وإلا فلا تخل بالفصاحة، وقد قال النبي صل الله عليه وسلم « والكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم».[3]

وممن عرض الحديث مفصلا عن عيوب التراكيب اللفظية قدامة بن جعفر، فتحدث عن عيوب اللفظ فقال: « أن يكون ملحونا وجاريا على غير سبيل الإعراب واللغة، وقد تقدم من استقصى هذا الفن، وهم واضعوا صناعة النحو، وأن يركب الشاعر منه ما ليس بمستعمل إلا

---

[1]– الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت، ص450.

[2]– الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البيجاوي، طبعة عيسى البابي الحلبي، ص417.

[3]– الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ج1، ص78.

في الفرط ولا يتكلم به إلا شاذا، وذلك هو الوحشي الذي مدح عمر بن الخطاب زهيرا لمجانبته له، وتنكبه إياه، فقال: "كان لا يتبع حوشي الكلام، وهذا الباب يحوز للقدماء ليس من أجل أنه حسن، لكن لأن من شعرائهم من كان أعرابيا قد غلبت عليه العجرفية، وللحاجة أيضا إلى الاستشهاد بأشعارهم في الغريب، ولأن من كان يأتي منهم بالوحشي، لم يكن يأتي به على جهة التطلب له، والتكلف لما يستعمله منه، ولكن لعادته، وعلى سجية لفظه".[1]

ثم تحدث عن المعاظلة، فقال:" وهي التي وصف عمر بن الخطاب زهيرا بمجانبته لها أيضا، فقال: وكان لا يعاظل في الكلام وسألت أحمد يحي عن المعاظلة، فقال: مداخلة الشيء، يقال: تعاظل الجرادتان، وعظل الرجل المرآة، إذ ركب أحدهما الأخر"[2].

وقال: وما أعرف ذلك إلا فاحش الاستعارة، مثل قول أوس بن حجر:

وذاتُ هَدْمٍ عَارٍ نَوَاشِرُهَا تَصْمُتُ بِالمَاءِ تَوْلَبًا جَدْعَا.[3]

فسمي الصبي تولبا، وهو ولد الحمار.[4]

وقد فصل من بعده ابن سنان الخفاجي الكلام عن المعاظلة، فعرفها ابن سنان بقوله: « ومن وضع الألفاظ موضعها اللائق بها ألا يكون الكلام شديد المداخلة يركب بعضه بعضا، وهذا هو المعاظلة التي وصف عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

زهير بن أبي سلمى يتجنبها، فقال: « (كان لا يعاظل بين الكلام) لأن المعاظلة: الداخلة»[5].

وانتقل قدامة إلى الحديث عن الكلام في عيوب الوزن، فقال:

« الخروج عن العروض، وقد تقدم من استقصى هذه الصناعة»[1]

---

[1]– قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح: كمال مصطفى، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص173.

[2]– المرجع نفسه، ص176.

[3]– ذات هدم: إمرأة ضعيفة، الهرم: الكساء الخلف، النواشر، عرق وعصب باطن الدراع، تصمت: تسكت، الجدع: السيء، ومعنى البيت، بكى ابنها فلم تجد له لبنا، فأسكته بالماء.

[4]– قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص177.

[5]– أبي محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، تع: عبد المقال الصعيدي، مكتبة الأزهر، مصر، دط، ص157.

وذكر أيضا من عيوب الوزن من ما يعتبر من إضافاته.

➢ **التخليع:** « وهو أن يكون قبيح الوزن، قد أفرط قائله في تزحيفه، وجعل ذلك بنية للشعر كله، حتى ميله إلى الانكسار، وأخرجه عن باب الشعر الذي يعرف السامع له صحة وأنه في أول وهلة إلى ما يذكره، حتى ينعم ذوقه، أو يعرضه على العروض فيصبح فيه».[2]

➢ **الزحاف:** « وهو أن ينقص الجزء عن سائر الأجزاء، فمنه ما تم نقصانه أخفى، ومنه ما هو أشنع، وهو في ذلك جائز في العروض».[3]

وانتقل قدامة إلى الحديث عن الكلام في عيوب القوافي، فقال: « ولنتعد ما قد أتى به من استقصى ذلك فيما وضعه من الكتب... ولتذكر مما وضع فيها ما كانت القدماء تعيب به دون غيره، فمن ذلك التجميع»[4] وذكر من العيوب ما يلي:

أ –**التجميع:** وهو أن تكون القافية المصراع الأول من البيت الأول على روي متهيء لأن تكون قافية أخر البيت بحسبه فتأتي القافية بخلافه، مثل ما قال عمرو بن شأس:

تَذَكَرْتُ لَيْلَى لاَتَ حِينَ اِدِكَارِهَا وَقَدْ جُنِيَ الأَصْلاَبُ ضُلاَ بَتَظَلاَلِ.[5]

ب **من عيوب الإقواء:** "وهو أن يختلف إعراب القافي، فتكون قافية مرفوعة مثلا، وأخرى مخفوضة، أو منصوبة، وهذا في شعر الأعراب كثيرا جدا، وفي من دون الفحول من الشعراء أكثر، ولا يجوز لمولد، لأنهم قد عرفوا عيبه، والبدوي لا يأبه له، فهو أعذر".[6]

ج **الإيطاء:** "وهو أن تتفق القافيتان في قصيدة واحدة، فإن زادت على اثنتين فهو أسمج، فإن اتفق اللفظ، واختلف المعنى كان ذلك جائزا".[7]

---

[1]– قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص180.

[2]– المرجع نفسه، ص181.

[3]– المرجع السابق، ص183.

[4]– المرجع السابق، ص184.

[5]– المرجع السابق: ص185.

[6]– المرجع السابق، ص185.

[7]– المرجع السابق، ص187.

د -**السناد:** "وهو أن يختلف تصريف القافية".[1]

وقد تحدث ابن طباطبا عن ضرورة حسن النظم، وتجنب العيوب فيه فقال: « وينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره، وتنسيق بياته، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه، فيلائم بينها لتنظيم له معانيها، ويتصل كلامه فيها، ولا يجعل بين ما قد ابتدأ وصفه وبين تمامه فضلا من حشو ليس من جنس ما هو فيه، فينسي السامع المعنى الذي يسوق القول إليه، كما أنه يحترز من ذلك في كل بيت، فلا يباعد كلمة عن أختها، ولا يحجز بينهما وبين تمامها بحشو يشينها، ويتفقد كل مصراع هل يشاكل ما قبله؟ فربما اتفق للشاعر بيتان يضح مصراع كل واحد منهما في موضع الأخر، فلا يتنبه على ذلك إلا من دق نظره ولطف فهمه».[2]

والعيوب لا محيص عنها للقدماء والمحدثين على حد سواء، فالمحمود من الأدباء من قلت عيوبه عن نظرائه، يقول القاضي عبد العزيز الجزجاني: « ودونك هذه الدواوين الجاهلية والإسلامية فأنظر هل تجد فيها قصيدة تسلم من بيت أو أكثر لا يمكن لعائب القدح فيه، إما في لفظه ونظمه أو ترتيبه وتقسيمه، أو معناه وإعرابه؟

ولولا أن أهل الجاهلية جُدّوُا بالتقدم، واعتقد الناس فيهم أنهم القدوة والأعلام والحجة، لوجدت كثيرا من أشعارهم معيبة مسترذلة، ومردودة منفية، لكن هذا الظن الجميل، والاعتقاد الحسن، ستر عليهم، ونفى الظنة عنهم، فذهبت الخواطر في الذب عنهم كل مذهب، وقامت في الاحتجاج لهم كل مقام». [3]

ومن المعيب عند العلماء الحشو الذي لا طائل من ورائهن يقول ابن سنان الخفاجي في هذا الصدد: فمثل هذا وأشباهه الحشو الذي يقع ولا تعرض في ذكره فائدة إلا ليصح الوزن، وهو عيب فاحش في هذه الصناعة؛ وما أكثر ما تستعمل أمس وأصبح وأخواتها في هذا

---

[1]- محمد أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تح: عباس ع السائد نعيم زرنوم، ط2، دار الكتب العلمية، 2005، ص129.

[2]- المرجع السابق، ص130.

[3]- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص455.

الموضوع من الحشو، ويجب أن تعتبر ذلك بأن تنظر الفائدة فيه، فإن كان الأمر الذي ذكر أنه أصبح فيه لم يكن أمس فيه الفائدة حاصلة، وإن كان الأمر بخلاف ذلك، فهو حشو لا يحتاج إليه، واعتبار الفائدة فيه هو الأصل الذي يرجع إليه ويعول على النظر من جهته

وذكر ابن طباطبا أمثلة للقبيح المستكره من الألفاظ، فقال: « ومن الأبيات المستكرهة الألفاظ، القلقة القوافي، الرديئة النبح، فليست تسلم من عيب يلحقها في حشوها أو قوافيها، أو ألفاظها أو معانيها»، قول أبي العيال الهذلي:

ذَكَرْتُ أَخِي فَعَاوَدَنِي مُدَاحُ الرَأْسِ وَالوَصَبِ.

«فذكر الرأس مع الصداع فضل»[1]

ويحدد البغدادي أهم عيوب الألفاظ وهو أن تكون مستكرهة أو كثيرة مكررة، فيقول: « لكنهم يخرجون عن طريق البلاغة، ومنهاج الكتابة من وجهتين: أحدهما: أن تكون الألفاظ مستكرهة مستوخمة، غير مرصوفة ولا منتظمة، والثاني: أن تكون كثيرة: يغني بعضها عنها بعضها، ويمكن أن يعبر عن المعنى الدال عليها بأقل منها.».[2]

ويعاب أيضا التجنيس والسجع الذي يتبع المعنى اللفظ فيه، يقول عبد القاهر: « وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيسا مقبولا، ولا سجعا حسنا، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه، واستدعاه وساق نحوه، وحتى نجده لا تبتغي به بدلا، ولا تجد عنه حولا».

وقد كان السجع يأتي في كلام الأوائل عفوا، ولم يكونوا يتعمدونه، وكان الكتاب لا يدخلون به في البداية، يقول ابن سنان الخفاجي: « وقد سن الكتاب المتقدمون من تجنب السجع في أكثر كلامهم سنة لو اعتمدت لوجدت فيها الراحة من هذا العارض لأنهم إذا كانوا لا يحفلون بالسجع، فالواجب اطراحه في الموضع الذي يكون متكلفا نافرا».[3]

---

[1]– محمد أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، ص132.

[2]– البغدادي أحمد بن علي بن ثابت، الذكر التبريزي عند الخطيب، تح: سالك أحمد معلوم، مكتبة لينة للنشر والتوزيع، ط1، 1993، ص250.

[3]– المرجع نفسه، ص251.

ويبدوا أن هنالك من يولع بالسجع ولو على حساب المعنى، كالبغدادي الذي قال:" ورأيت قوما يذهبون إلى كراهة السجع والإزدواج في الكلام، من غير أن عرفت لهم من ذلك حجة، فعلمت أنهم ذموا ما راموه، فلم يصلوا إليه، وتعاطوه فلم يقدروا عليه، وإلا هذا القرآن وكلام الرسول صل الله عليه وسلم وهما مسجوعان فأما الذي في القرآن فأكثر من أن يحاط، إذ كان متباه عليه".[1]

وقد خالف البغدادي المشهور عين سمى الفواصل القرآنية سجعا، " وإنما الفواصل في القرآن كالقوافي في الشعر".

وهناك فرق بين الفواصل والسجع كما بين إبن سنان الخفاجي :" وأما الفواصل التي في القرآن فإنهم سموها فواصل ولم يسموها أسجاعا، وفرقوا فقالوا: إن السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يحمل المعنى عليه، والفواصل التي تشجع المعاني ولا تكون مقصودة في نفسها".

ومن العيوب التي يقع بها الناس التحريف في الألفاظ، وقد عقد أبن قتيبة بابا بعنوان: باب الحرفين اللذين يتقاربان في اللفظ والمعنى ويلتبسان قربهما وضع الناس أحدهما موضع الآخر.

فقالوا: عظم الشيء: أكثره، وعظمه نفسه.

- **عيوب المعاني والأساليب:**

الاحتراز من عيوب المعاني من مقتضيات البلاغة، « والمعاني على ضربين: ضرب يبتدعه صاحب الصناعة من غير أن يكون له إمام يقتدي به فيه، أو رسوم قائمة في أمثلة مماثلة يعمل عليها... وينبغي أن يطلب الإصابة في جميع ذلك، ويتوخى فيه الصور المقبولة والعبارة المستحسنة، ولا يتكل فيها ابتكره على فضيلة ابتكاره، ولا يغره ابتداعه له، فيساهل

[1]– االمرجع السابق: ص251.

نفسه في تهجين صورته، فيذهب حسنه ويطمس نوره، ويكون أقرب إلى الذم منه إلى المدح».[1]

كما ذكر الجاحظ ضرورة التنويع في القصيدة، وألا تكون على وتيرة واحدة في كونها أمثالا فقط، يقول: « القصيدة إذا كانت كلها أمثالا لم تسر ولم تجر مجرى النوادر، ومتى لم يخرج الشاعر من شيء لم يكن لذلك عنده موقع».

ومن العيوب التي يقع بها الخطباء ترك الاقتباس من القرآن في الخطب، أو عدم بدايتها بالتحميد، يقول الجاحظ: « وعلى أن خطباء السلف الطيب، وأهل البيان من التابعين لهم بإحسان، مازالوا يسمون الخطبة التي لم تبتدىء بالتحميد وتستفتح بالتحميد، البتراء ويسمون التي توشح بالقرآن، وتزين بالصلاة على النبي صل الله عليه وسلم: "الشوهاء"».[2]

ويرى ابن قتيبة أن من العيوب التي يقع بها الكتاب عدم مراعاة مقتض الحال: يقول: « ونستحب له أيضا أي للكتاب، أن ينزل ألفاظه في كتبه فيجعلها على قدر الكتاب والمكتوب إليه، وأن لا يعطي خسيس الناس رفيع الكلام ولا رفيع الناس وضيع الكلام، فإني رأيت الكتاب قد تركوا تفقد هذا من أنفسهم وخلطوا فيه، فليس يفرقون بين من يكتب إليه: (فرأيك في كذا)، وبين من يكتب إليه (فإن رأيت كذا) و(رأيك) إنما يكتب بها إلى الأكفاء والمساوين، ولا يجوز أن يكتب بها إلى الرؤساء والأساتذة، لأن فيها معنى الأمر ولذلك نصبت».[3]

وحذر ابن قتيبة من الأخطاء التي تقع في معاني الألفاظ، فتحدث عنها في كتاب المعرفة: باب ما يضعه الناس في غير مضعه، وهو أول باب في كتابه أدب الكاتب، وضرب لذلك أمثلة من ذلك :" أشفار العين، يذهب الناس إلى أنها الشعر النابت على حروف العين، وذلك غلط، إنها الأشفار حروف العين التي ينبت عليها الشعر... ومن ذلك الطرب، يذهب

[1]– ابن قتيبة، أدب الكاتب، تح: علي فاعون، (ط1–2014)، المكتبة العربية السعودية، ط1–2014، ص338.

[2]– الجاحظ: البيان والتبين، ص170.

[3]– ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص398.

الناس إلى أنه الفرح دون الجزع وليس كذلك، إنما الطرب خفة تصيب الرجل لشدة السرور أو لشدة الجزع".[1]

ويعد قدامة بن جعفر من أبرز من تكلموا في عيوب المعاني، وقد أفرد لذلك حديثا طويلا مسنودا بالتعريفات والأمثلة لكل ما يذكره، فقال تحت عنوان: (عيوب المعاني): " قد كنا قدمنا في باب النعوت أن جملتها أن يكون المعنى مواجها للغرض، غير عادل فيه إلى جهة أخرى، وبين من الأغراض التي تنتحيها الشعراء في ذلك الموضع ما إذا حفظ عرف العيب بالعدول عنه".[2]

وهو يعني بالمعاني الأغراض الشعرية وذهب بذكر عيوب ذلك المعاني بعد ذلك، وفي مقدمتها نعت المديح، فقال: « لما كنا قدمنا من حال المديح الجاري على الصواب ما أنبأنا أنه الذي يقصد فيه المدح للشيء بفضائله الخاصية، لا بما هو عرض فيه، وجعلنا مديح الرجال مثلا في ذلك وذكر، أن من قصد لمدحهم بالفضائل النفسية الخاصة كان مصيبا، وجب أن يكون ما يأتي به الممدوح من المدح على خلاق الجهة التي ذكرناها في النعوت معيبا».[3]

وذكر عيوب الهجاء بعد ذلك، فقال: « وجمع القول فيه أنه متى سلب المهجور أمورا لا تجانس الفضائل النفسية كان ذلك عيبا في الهجاء، مثل أن ينتسب إلى أنه قبيح الوجه، أو صغير الحجم، أو ضئيل الجسم».[4]

ثم انتقل إلى ذكر عيوب المراثي، فقال: « ففي ما قدمته في باب نعوتها آنفا ما أبان عن الوجه في باب عيوبها، إذا كان النظر صحيح، والفكر سليما »[5] وكان قد ذكر في نعت

---

[1]– د محمد رفعت أحمد زنجبير، عيوب الكلام في تراث العرب جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا، كلية التربية والعلوم الأساسية، مقر أبوظبي، 24–نيسان، 2002، ص19.

[2]– المرجع السابق، ص19.

[3]– المرجع السابق، ص20.

[4]– المرجع السابق، ص20.

[5]– المرجع السابق، ص20.

المراثي: إنه ليس بين المرثية والمِدحة فصل إلا أن يذكر في اللفظ على أنه لهالك مثل كان وتولى وقضى نحله، وأشبه ذلك ، وهذا ليس يزيد في المعنى ولا ينقص منه، لأن تأبين الميت إنما هو بمثل ما كان يمدح به في حياته».[1]

وانتقل قدامة بعد ذلك للحديث عن العيوب حيث التشبيه، وهو هنا يخلط بين أغراض الشعر وأساليبه، فكلهما عنده من المعاني، وذكر بعد ذلك عيب الوصف وعيب الغزل، وقال: « وهذه كلها بالمضادة من النعوت التي ذكرها».

وتحدث قدامة بعد ذلك على ما أسماه العيوب العامة للمعاني، فقال في مقدمة حديثه: « وأما العيوب العامة للمعاني من الأغراض التي ذكرناها وغيرها وعموم ذلك إياها، كعموم النعوت التي قدمناها وعددها في أبوابها، فمنها:

فساد القسم: وذلك يكون إما بأن يكررها الشاعر، أو يأتي بقسمين أحدهما داخل تحت الأخر في الوقت الحاضر، أو يجوز أن يدخل أحدهما تحت الأخر في المستأنف، أو يدع بعضهما فلا يأتي به.

فأما التكرير، فمثل قول هذيل الأشجعي:

فَمَا بَرَحَتْ تُومِي إِلَيْهِ بِطَرَفِهَا وَتُومِضُ أَحْيَانًا إِذَا خَصَمَهَا غَفَلْ.

لأن (تومض) و(تومي) بطرفها متساويان في المعنى.

وأما دخول أحد القسمين تحت الأخر، فمثل قول أحدهم:

أُبَادِرُ إِهْلَاكَ مُسْتَهْلَكِ لِمَالَيَّ أَوْعَبْتُ العَابِثِ.

فعبث العابث داخل في إهلاك مستهلك».[2]

وذكر قدامة بعد ذلك فساد المقابلات « وهو أن يضع الشاعر معنى يريد أن يقابله بآخر، إما على وجه الموافقة أو المخالفة، فيكون أحد المعنيين لا يخالف الآخر ولا يوافقه مثال ذلك قول أبي عدي القرشي:

---

[1]– المرجع السابق، ص20.

[2]– المرجع السابق، ص21.

يَابْنَ خيْرِ الأَخْيَار مِنْ عَبْدِ شَمْسِ أَنْتَ زِينُ الدُنْيَا وَغيْثُ الجُنُودِ.

فليس قوله: (وغيث الجنود) موافقا لقوله زين الدنيا، ولا مضادا، وذلك عيب».[1]

وتحدث عن فساد التفسير، ويفسد عنده بالاستحالة والتناقض، " وهما أن يذكر في الشعر شيء، فيجمع بينه وبين المقابل له من جهة واحدة".

وذكر بعد ذلك إيقاع الممتنع، فقال:" ومن عيوب المعاني إيقاع الممتنع فيها حال ما يجوز وقوعه ويمكن تصوره و الفرق بين الممتنع والمتناقض الذي تقدم الكلام فيه، أن المتناقض لا يكون ولا يمكن تصوره في الوهم، والممتنع لا يكون ويجوز أن يتصور في الوهم".

وذكر بعد ذلك من عيوب المعاني:"مخالفة العرف والإتيان بما ليس في العادة والطبع".[2]

وأعقبه أيضا بقوله: « ومن عيوب المعاني نسب الشيء إلى ما ليس فيه».

تحدث قدامة بعد ذلك عن ما أسماه: عيوب ائتلاف اللفظ مع المعنى فذكر من تلك العيوب:

1 -**الإخلال:** " وهو أن يترك من اللفظ ما يتم به المعنى".

2 -**الحشو:** "وهو أن يحشى البيت بلفظ لا يحتاج إليه لإقامة الوزن"

3 -**التثليم:** "وهو أن يأتي الشعر بأسماء يقصر عنها العروض، فيضطر إلى ثلمها والنقص منها".

4 -**التذنيب:** "وهو عكس العيب المتقدم، وذلك أن يأتي الشاعر بألفاظ تقصر عن العروض فيضطر إلى الزيادة فيها".[3]

5 -**التغيير:** " وهو أن يحيل الشاعر الاسم عن حاله وصورته إلى صور أخرى، إذا اضطرته العروض إلى ذلك".

---

[1]- المرجع السابق، ص21.

[2]- المرجع السابق، ص21.

[3]- المرجع السابق، ص21.

6 -**التفصيل:** " وهو ألا ينتظم الشاعر نسق الكلام على ما ينبغي لمكان العروض، فيقدم ويؤخر".

ثم انتقل بعد ذلك إلى الحديث عن عيوب ائتلاف المعنى والوزن، فذكر من تلك العيوب:

- ✓ **المقلوب:** "وهو أن يضطر الوزن الشعري إلى إحالة المعنى، فيقلبه الشاعر إلى خلاف ما قصد به".
- ✓ **المبتور:** "وهو أن يطول المعنى عن أن يحتمل العروض تمامه في بيت واحد، فيقطعه بالقافية، ويتمه في البيت الثاني".

وانتقل بعد ذلك إلى الحديث عن عيوب ائتلاف المعنى والقافية، وذكر منها عيبين:

- ✓ **التكلف في طلب القافية:** وهو: " أن تكون القافية مستدعاة قد تكلف في طلبها، فتشغل معنى سائر البيت بها".
- ✓ **الإتيان بالقافية لتكون نظيرا أخونها في السجع:** يقول: « ومن عيوب هذا الجنس أن يؤتى؛ بالقافية لتكون نظيرة لأخواتها في السجع لا لأن لها فائدة في معنى البيت».

وذكر أبو هلال من عيوب المعاني عدم التحرز في مطلع القصائد مما يتطير منه، وقال: " وينبغي للشاعر أن يحترز في أشعاره، ومفتتح أقوله مما يتطير منه".

وذكر له أمثلة منها قوله: « وقد أذكر الفضل بن يحي البرمكي على أبي نواس ابتدائه:

أَرْبَعُ البُلَى إِنَ الخُشُوعَ لِبَادِي عَلَيْكَ وَإِنيَّ لَمْ أَخُنْكَ وَدَادِي.

قال فلما انتهى إلى قوله:

سَلاَمُ عَلى الدُنْيَا إِذَا مَا فَقَدْتُمْ بَنيِ بَرْمَكَ مِنْ رَائِحِينَ وَغَادَ.

وسمعه استحكم تطيره، وقيل أنه لم يمض أسبوع حتى نكبوا.[1]

[1]– المرجع السابق: ص22.

وتحدث العسكري عن قبيح التشبيه إذا لم يؤد إلى تجلية المعنى المراد فقال: « والتشبيه يقبح إذا كان على خلاف ما وصفنه في أوب الباب من إخراج الظاهر فيه إلى الخافي، والمكتوف إلى المستور والكبير إلى الصغير »[1]

كما تحدث أيضا عن قبح الأخذ أن تعمد إلى المعنى فتتناوله بلفظه كله أو أكثره، أو تخرجه في معرض مستهجن، والمعنى إنما يحسن بالكسوة»[2]

وأشار أبو هلال إلى أهمية الإيجاز والإطناب وأن لكل واحد منهما موضعه، ولا يستغنى بأحدهما عن الأخر، ومن لم يعرف موقع كل منهما أدركه الخطأ، يقول: « والقول القصد أن الإيجاز والأطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام، وكل نوع منه، ولكل واحد منهما موضع، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته، استعمل الإيجاز في موضع الإطناب، والإطناب في موضع الإيجاز خطأ ».[3]

ويفرق أبو هلال بين الإطناب المفيد وبين التطويل الذي لا فائدة فيه، فيقول: « فالإطناب بلاغة، والتطفيل والتطويل عي، لأن التطويل بمنزلة سلوك ما يبعد جهلا بما يقرب، والإطناب بمنزلة سلوك طريق بعيد نزه يحتوي على زيادة فائدة».[4]

ونقل أبو هلال عن الخليل مواقع كل من الإيجاز والإطناب، ورأى أن الإطناب وقت الضرورة داخل في الإيجاز ! يقول: « وقال الخليل: يختصر الكتاب ليحفظ ويبسط ليفهم، وقيل لأبي عمر بين العلاء: هل كانت العرب تطيل؟ قال: نعم كانت تطيل ليسمع منها، وتوجز ليحفظ عنها»[5]

والإطناب إذا لم يكن منه بد إيجاز، وهو في الموعظة خاصة محمود، كما أن الإيجاز في الإفهام محمود ممدوح»[6]

---

[1]– أبو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، ص189.

[2]– المرجع السابق، ص189.

[3]–المرجع السابق، ص190.

[4]– المرجع السابق، ص190.

[5]– المرجع السابق، ص190

[6]– المرجع السابق، ص190.

وحذر أبو هلال من استكراه المعاني والألفاظ ومن استغلاقهما، فقال: " ولا خير في المعاني إذا استكرهت قسرا ، والألفاظ إذا اجتزت قسرا، ولا خير فيما أجيد لفظه إذا أسخف معناها، ولا في غراية المعنى إلا إذا شرق لفظه مع وضوح المغزى، وظهور المقصد، وقد غلب الجهل على قوم فصاروا يستجيدون الكلام إذا لم يقفوا على معناه إلا بكد، ويستفصحونه إذا وجدوا فيه ألفاظ كزة غليظة، وجاسية غريبة، ويستحقرون الكلام إذا رأوه سليا عذبا وسهلا حلوا، ولم يعلموا أن السهل أمنع جانب، وأعز مطلبان وهو أحسن موقعا، وأعذب سمعا، ولهذا قيل: أجود الكلام السهل الممتنع".

ويرى إبن طباطبا ضرورة البعد عن الاستغلاق وكل ما من شأنه أن يبعد المعنى عن ذهن المتلقي: فيقول: " وينبغي على الشاعر أن يجتنب الإشارات البعيدة، والحكايات المغلقة، والإيماء المشكل، ويعتمد ما خلف ذلك، ويستعمل من المجاز ما يقارب الحقيقة، ولا يبعد عنها، ومن الاستعارات ما يليق بالمعاني التي يأتي بها فمن الحكايات المغلقة، والإشارات البعيدة قول المتقب في وصف ناقته:

يَقُولُ وَقَدْ دَرَأْتُ لَهَا وَضِينِي أَهَذَا دِينُــهُ أَبَدَا وَدِيــنِي

أَكُــلُّ الدَّهْرَ حلَّ وَارْتِـحَالٌ أَمَا يُبْقَي عَلَيَّ وَلاَ يَقِينِي

فهذه الحكاية كلها عن ناقته من المجاز المباعد للحقيقة وإنما أراد الشاعر أن الناقة لو تكلمت ..... عن شكواها بمثل هذا القول والذي يقاربه في الحقيقة قول عنترة في وصف فرسه

فَا زُورَّ عَنْ وَقَعَ القَنَا بِلِبَانِهِ وَشَكَا إِلَيَّ بِعبْرَةٍ وَتُحَمْحَمَ. [1]

وينبه ابن سنان الخفاجي إلى أن لكل فرض أدبي ألفاظه الخاصة به، ولابد من ضرورة مطابقة الألفاظ للأغراض ، فيقول: « ومن وضع الألفاظ موضعها ألا يعبر عن المدح بالألفاظ المستعملة في الذم، ولا في الذم بالألفاظ المصروقة للمدح، بل يستعمل في جميع الأغراض الألفاظ اللائقة بذلك الغرض».

[1]– المرجع السابق، ص191.

كما يشير أيضا إلى ضرورة اجتناب التصريح في الموضع الذي لا ينبغي ذكره فيه، فيقول: « ومن هذا الجنس حسب الكناية عما يجب أن يكنى عنه في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح، وذلك من أصول الفصاحة، وشرط من شروط البلاغة.»

وذكر البغدادي(ت517هـ) من عيوب المعاني وهو هنا يتابع قدامة بن جعفر في بعض ما يقوله:

1. **المستحيل:** " وهو الشيء الذي لا يوجد، ولا يمكن مع ذلك أن يتصور في الفكر، مثل الصاعد والنازل في وقت واحد، وهذا كان قدامة قد ذكره من قبله.
2. **وأما الامتناع:** " فهو الذي وأن كان لا يوجد، فيمكن أن يتخيل ومنزلته دون منزلة المستحيل في ...، مثل أن تركب أعضاء حيوان ما، على جثة حيوان أخر، فإن ذلك جائز في التوقع، ولكنه معدوم في الوجود، وهذا كان قدامة قد ذكره من قبله.
3. **التناقض:** أن تجمع بين المقابلة من جهة واحدة، مثل أن يجعل ما أبا لزيد وابنا له، وعدد ما ضعفا لخمية ونصفا لها... فهذا أكله فاسد لا يجوز لأن التقابل جعل فيه من جهة واحدة، فيصير حينئذ تناقضا، وهو من أفحش عيوب المعاني المعبر عنها بالكلام المنثور والكلام المنظوم أيضا.[1]
4. **وذكر من عيوب المعاني أيضا:** فساد التقسيم " وهو هنا يتابع قدامة بن جعفر ويكون فساد التقسيم عنده على ثلاثة صور:

الأولى: التكرير، مثل ما كتب بعضهم إلى عامل: (ففكرت مرة في عزلك، وأخرى في صرفك، وتقليد غيرها)

الثانية: تداخل الأقسام، ومثل له بقول بعض النوكى: « أخبروني عن علقمة بن عبدة: جاهلي هو أم من بني تميم؟»[2]

والثالثة: الإخلال ببعض الأقسام.

---

[1]– البغدادي أحمد بن علي بن ثابت، الفكر التربوي عند الخطيب، ص261.

[2]– المرجع السابق، ص261.

5 -**وفساد المقابلات:** وذلك أن يذكر معنى يقتضي الحال ذكره ما يوافقه ويعانده فيؤتى بما لا يوافق ولا يشاكل، أو بما لا يوافق ولا يعادل، فليس المقول فيه من الناس إنه خير على الإطلاق، معاند اللقول منهم: إنه مارق ولا موافق وهذه كان قدامة قد ذكرها من قبله.

عيوب المتكلمين:

إذا عدنا إلى تعريف فصاحة المتكلم عند البلاغيين وجدناها:

ملكة يقتدر بها على التعبير عن المعنى المقصود، بلفظ فصيح، [1] وأما البلاغة فهي ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ، [2] فالأساس في الفصاحة والبلاغة هو الاستعداد الفطري عند الإنسان وهو ما عبروا عنه بلفظ ملكة بمعنى موهبة أو قدرة فطرية تجعله يقدر على التأليف الجميل في أي موضوع يريده بيد أن هنالك أمور تعتري المتكلم تحول بينه وبين الفصاحة والبلاغة ومن ذلك:

1 -**العي:** وهو في اللغة الحصر، [3] وهو أمر مذموم في البيان، يقول الجاحظ: مما ذموا به العي قوله:

وما بي من عيٍّ ولا انطق الخنا إذا جمع الأقوام في يحي بعقل. [4]

والعي مذموم، وقبحه عند الجاحظ أكثر من سلاطة اللسان، يقول: وضرب الله مثلا لعي اللسان ورداءة البيان، حين شبه أهله بالسناء والوالدان، فقال تعالي:

(أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين) [5]... وليس حفظك الله مضرة سلاطة اللسان عند المنازعة، وسقطات الخطل، يوم إطالة الخطبة.

بأعظم مما يحدث عن، العي من اختلال الحجة، وعن الحصر من فوق درك الحاجة.

---

[1]-ينظر: محمد محي الدين عبد الحميد، أدب الكاتب، دار المطبوعات العربية، بيروت، دت، ص10-15.

[2]- ينظر: الجرجاني، أسرار البلاغة، ص180.

[3]- ينظر: الجاحظ، البيان والتبين، ص180.

[4]- المرجع السابق، ص181.

[5]- ينظر: المرجع نفسه، ص182.

2 -التمتمة: وهي في اللغة رد الكلام إلى التاء والميم، لو أن سبق كلمته إلى حنكه الأعلى.[1]

3 -القأقأة: وهي ترديد وكثرتها في الكلام، [2] وقد نقل عن الأصمعي قوله إذا تقتع اللسان في التاء فهو تمتام، وإذا تقتع بالفاء فهو قأقأة، وأنشد لرؤية بن العجاج.

يا حمد ذات المنطق التمتام كأن وسواسك في اللَّمام

حديث شيطان بني هنام.[3]

4 -**اللفف:** وهو العي وبطىء الكلام، وقال أبو عبيدة، إذا أدخل الرجل بعض كلامه في بعض فهو أَلَّف، وقيل: بلسنه لفف وأنشد في لأبي زحف

الراجز: كأن فيه لففا إذا نطق من طول تحبيس وهو وأرق.

كأنه لما جلس وحده ولم يكن له من يكلمه، طال عليه ذلك، أصابه لفف في لسانه، وكان يزيد بن جابر قاضي الأزارقة بعد المتعطل، يقال له: الصموت لأنه لما طال صمته ثقل عليه، الكلام، فكان لسانه يلتوي ولا يكاد يبين.[4]

5 -**الحبسة:** وهي تعزر الكلام عند إرادته.[5]

6 -**العقلة:** وهي مأخوذة من اعتقل لسانه، لم يقدر على الكلام.[6]

7 -**الحنكلة:** مأخوذة من الحُكْلِ وهو ما لا يسمع صوته.[7]

وقد أشار إلى هذه العيوب جميعا الجاحظ بقوله: ويقال في لسانه حُبْسَة، إذا كان الكلام يثقل عليه، ولم يبلغ حد القأقأة، والتمتام.

---

[1]- ينظر: بن رشيق القبرواني: سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، ط1، 1982، بيروت، ص382.

[2]- ينظر المرجع نفسه، ص383.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص384

[4]- المرجع السابق، ص384.

[5]- المرجع السابق، ص384.

[6]- المرجع السابق: ص385.

[7]- ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص481.

ويقال في لسانه عقلة، إذا تعقل عليه الكلام، ويقال في لسانه لكنه، إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب، وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول، فإذا قالوا في لسانه حنكلة: فإنما يذهبون إلى ناقصان آلة المنطق، وعجز أداة اللفظ، حتى لا تعرف معانيه إلا بالاستدلال.[1]

مصطلحات عيوب النطق التي وردت عند الجاحظ: (اللثغة وأسباب حدوثها والحدوث التي تدخلها اللثغة):

أولا:دراسة بعض عيوب النطق:

- **اللثغة:** لم يقم الجاحظ بتعريفها فقد اكتفى بحروفها الأربعة:القاف،السين،اللام، الراء،

فاللثغة التي تعرض للسين تكون ثاء، كقولهم لأبي يكسوم: أبي يكثوم، بثرة، إذا أرادو بسرة، وبثم الله، إذا أراد و بسم الله، فاللثغة التي تعرض للقاف، تكون طاء، كقولهم: طلت له بدل قلت له: وطال بدل قال، اللثغة التي تعرض للام تكون ياء، كقولهم اعتتيت بدل اعتللت، وتكون كافا كالذي عرض لعمر أخي هلال، قال مكعكة في هذا؟ بدل ما العلة في هذا؟ [2]، أما لثغة الراء فيتضاعف عدد الحروف التي تعرض لها، فتكون ياءا، كقولهم عمي بدل عمرو، وترد الراء ملثوغة في صورة عمغ، عمد وأخيرها عمظ ساق الجاحظ قول الشاعر:

وَإِسْتَبَدْتُ مرَّة واحدةً إنما العَاجزُ من لا يُسْتَبَدُ [3]

ترد الراء ملثوغة في أربع صور هي: مذة، مظة، مغة ومية.

ما ميز اللثغ السابقة أن حروفها الأربعة تتأدى بواسطة اللسان ويصورها الخط ويمكن أن نتمثلها رمزيا كالأتي:

([1]): المرجع نفسه، ص482.

2ينظر: الجاحظ ، البيان والتبيين،ج1،ص28-29.

3-المصدر نفسه،ص29- البيت من الرمل لعمرو بن أبي ربيعة-.

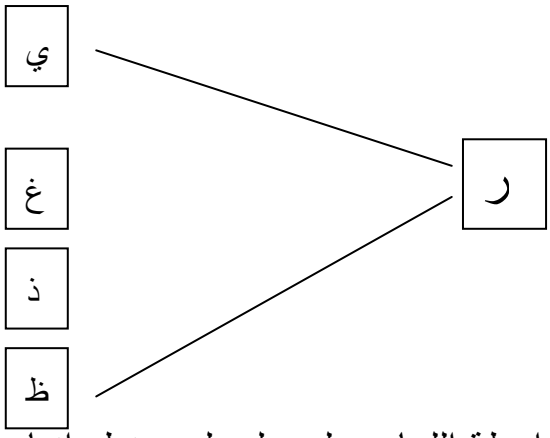

أما النوع الثاني من اللثغة فما يتأدى بواسطة اللسان، وليس لسبيله خط وإنما يرى بالعين، قام الجاحظ بحصره في حرفين هما[1]:

الشين المعجمة: كانت تعرض محمد بن الحجاج،قارب الجاحظ مخرج هذه اللثغة بحرف من حروف الزمزمة التي تخرج من الفم.

أما الحرف الثاني لهذا النوع من اللثغ فهو الراء، يخرجه واصل بن عطاء، بتشويه مخرج الراء، فهو يتساوى في تشويهه مع مخرج الراء، فهو يتساوى في تشويهه مع مخرج الشين المعجمة.

أما النوع الثاني من اللثغة، فكما كان يعتري لسان واصل بين عطاء من لثغة حاصلة على مستوى الشين المعجمة، فهذا النوع لا يخص إبدال وحدة صوتية مكان أخرى وإنما منشؤه تشويه يمس مخرجي الراء والشين، يتبعه تشويه للدلالة: ويمكن أن نتصور التشويه الحاصل على مخرج الراء في نطق واصل لها، فالراء عادة ما تنتج عن تكرار ضربات اللسان على اللثة تكرارا متسارعا، فهي صوت لثوي مكرر، أما واصل فيصور أنه يشوه مخرجها بأن يثني اللسان إلى أعلى شفق الحنك وإلى داخله، فتتكرر ضرباته ليس على المستوى اللثة وإنما على مستوى الحنك الصلب، فهذا التشويه في إخراج الراء من غير مخرجها ترتب عليه أثر سمعي شنيع وقبيح وبشع.

1-ينظر الجاحظ:البيان والتبيين، ج1،ص31.

أما التشويه الحاصل على مستوى حرف الشين المعجمة في إخراج محمد بن الحجاج له، فيمكن مقاربته على النحو الآتي: مخرجه عند القدماء هو ظهر اللسان ووسط الحنك، وعند المحدثين مخرجه هو الغار ومقدم اللسان، ولهذا يكاد يتوحد مخرج الشين المعجمة عند اللغويين القدماء المحدثين.

شوه محمد بن الحجاج مخرج الشين المعجمة، وإذا أثنى لسانه إلى أعلى وإلى الداخل، والتقى طرف اللسان بالحنك الصلب وبالتالي خرج الحرفان الملثوغان من مخرج واحد، قدم الجاحظ للثغة النبي موسى عليه السلام ولم يقف على حروفها فحسب، بل ساق روايتين تخصانها فإما الأولى فصادرة عن عامة الناس مؤداها ما اعتراه موسى عليه السلام بسبب وضعه الجمرة فيه، حينما كان في رعاية زوج ته فرعون أسريا بنت مزاحم ، أما الرواية الثانية فذكرها الجاحظ نقلا عن الوا قدي الذي روى عن بعض رجاله بأن لسانه كانت به ش أمة بها شعرا ت، علق الجاحظ على لثغته عليه السلام، قائلا: ليس في قوله: "واحلل عقدة من لساني،دليل على شيء دون شيء "[1].

تعريف اللكنة:

بعد ما أنهى الجاحظ الحديث عن القرآن أو الاقتران والتنافر [2]، على مستوى الألفاظ والحروف، هذا القرآن الذي أراد به:" التشابه والموافقة" ،شرع متحدثا عما يعرض للأعاجم من عيوب نطقية خاصة بهم فكانت اللكنة إحداها،عرفها بقوله :"ويقال في لسانه لاكنه إذ أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب وجذبه لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول"[3].

1-المصدر السابق،ص31.

2-المصدر السابق،ص141

3-المصدر نفسه،ص32.

وهي مصطلحات علم اللهجات تتعلق بطريقة التلفظ وليس بتركيب الكلمة أو معناها وهي انعكاس لطريقة لفظ اللغة الأم على لغة جديدة أو تأثير اللهجة الأم على لهجة جديدة[1]

يتضح من خلال التعريف السابق أن اللكنة تعتمد بما يعرف بالتجاذب بمعنى تجاذب بمعنى تجاذب العادة الأولى للمخرج المعتاد في اللغة الأم، أو لغة المنشأ.

فسر بعض العلماء اللغة المحدثون هذا التجاذب من خلال ما اصطلحوا على تسميته بالنقل أو التدخل[2]، فالألكن ينقل عن غير قصد ما يميز لغته الأم على مستوى من مستوياتها أو نظام من أنظمتها، سواء تعلق الأمر بالنظام الصوتي،الصرفي، النحوي، الدلالي.

واللكنة هي أن تعترض للكلام اللغة الأم، فكأنه نوع مما يصب المتكلمين اليوم من إدخال بعض الحروف والكلمات والعبارات الأجنبية في كلامهم[3].

إن اللكنة تتعلق بطريقة التلفظ أو الأداء وليس بتركيب الكلمة أو معناها وغالبا ما تبرز اللكنة كانعكاس لطريقة لفظ اللغة الأم على طريقة لغة جديدة، أو تأثير اللهجة الأم على اللهجة جديدة، فإذا حاول المصريون أن يتكلموا بلهجة أهل الشام ستكون اللكنة المصرية واضحة في طريقة لفظهم للكلمات الشامية، كذلك الروس الذين يتكلمون الإنجليزية يجدون صعوبة في التخلي عن النطق الفخم للغة الروسية، لكن اللكنة لا تغير من معاني الكلمات ولا علاقة لها بخلق معان ومصطلحات جديدة.

أنواع اللكنات:

1-شهرة زاد بن يونس، محاضرة في علم اللهجات، جامعة منتوري، قسنطينة،ص:10.

2فاطمة محمد محجوب،دراسات في علم اللغة ، دار النهضة العربية،القاهرة،دط،دت،ص94-95.

3-عصام نور الدين، محاضرات في فقه اللغة،دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،ط1، 2002م، ص 152.

بعد ما ساق الجاحظ صورا من لكنات الخاصة من الأعاجم أو الخاصة من العرب، الذين نشأوا بديار الأعاجم، كعبيد الله بن زياد، راح يترصد صورا من لكنات العامة، ومن لم يكن له حظ من المنطق:

- فيل مولى زياد: كان يجعل الحاء الهاء، قال: أهدوا لنا هماروهش، يريد به: أهدوا لنا حمار وحش، كما كان يجعل العين همزة، يقول: أهدوا إلينا أيرا، يريد به: أهدوا إلينا بعيرا.
- أم ولد لجرير بن الخطفي: ارتضخت ثلاث لكنات، أبدلت الذال المعجمة دالا، غير معجمة، وضمنت حركة الجيم في جرذان، وجعلت الصيغة الصرفية: (لعُجَيْنُ) (فُعَيْلُ) (عِجَانًا) (فِعَالاً)، مما نجم عنهما تغيير في الدلالة.

أم ولد لأحد الشعراء: ارتضخت لكنة أعجمية، فكانت تذكر المؤنث، وتؤنث المذكر، وتجعل القمر كمرا، فأنشد زوجها في لكنتها:

أَولُ مَا أَسْمَعُ مِنْهَا فِي السحَرْ تَذْكِيرُهَا الأُنْثَى وَتَأْنِيثُ الذَكَرْ

وَالسوءَةُ السوَاءُ فِي ذِكْرِ القَمَرْ [1].

- العجوز سندية: كانت ترتضخ لكنين سنديتين، تجعل الجيم ذالا، والسين غير معجمية شينا معجمة، قالت: هذا الذمل يذكرها بالشر تريد: هذا الجمل يذكرنا بالسر أي بللوطء.
- الصقلبي: تجعل الذال المعجمة دالا غير معجمية.

ذكر الجاحظ بابا آخر من اللكنة لا يلمس الحروف، بل حركاتها دونما تغيير في المعنى.

قيل لنبطي:"لم أتعبت هذه الأتان؟ قال: "أَرْكَبُهَا وَتَلَدُلي...."[2].

1-ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين،ج1، ص54، ص112.

2- ينظر:صور لكنات العامة: المصدر نفسه، ج1 ، ص54، ج2، ص168،167.

ولكنه فتح المكسورة[1] حين، قال:" وتلدني ولم يقل تلدلي"

يمكن أن نعبر عن جميع اللكنات السابقة،من خاصة وعامة بالرموز الأتية:

-السندي: ج > ز

-النبطي: القح: ز>س، ع>همزة

أ -اللكنات الخاصة:

1- اللكنة الفارسية: -زياد بن سلمى أبو أمامة : س>ث

-زياد الأعجم: ط>ت

-عبيد الله بن زياد: ح>ه

ق>ك

-أبو مسلم الخرساني: ق>ك

2- اللكنة الفارسية عبيد الله بن زياد

اللكنة الرومية: صهيب بن سنان النمري ح>ه

اللكنة النبطية

ب-لكنات العامة:

1 -اللكنة الفارسية: فيل مولى زياد ح>ه

2 -أم ولد لجرير الخطفي: ذ>د

ضمت الجيم المكسورة في الجرذان، جعلت العجين عجانا، (تغيير في الصيغة الصرفية، تبعه تغير في الدلالة).

3 -أم ولد لشاعر مجهول: تذكير المؤنث وتأنيث المذكر، ق>ك.

1-المرجع نفسه، صفحة نفسها.

4 #العجوز السندية: ج>ذ

5 #الصقلبي: س>ش ، ذ>د

6 #النبطي: الكسرة>الفتحة

نستنتج مما سبق أن صور اللكنة تناولها بعلم اللغة الحديث، بما يسمى النقل، كان هذا النقل يخص الجانب ال فونيمي، فكل من النبطي– الفارسي–الرومي– جذبتهم عادة المنشأ الأول للغة الأم، أو الأساس اللغوي الأول فنطقوا ال حاء هاء، وهو ما يستدعي أن اللغات الثلاث لا تشمل الحاء في نظامها ولا على مستوى مدارج المخارج، لذلك نقلوا إلى الكلمة العربية صوتا قريبا إلى الحاء فكان هاء، لقرب مخرج وصفة الحاء من الهاء، فصفات الحاء والهاء عند جل اللغويين العرب القدامى تنحصر في كونها صوتين رخوين مهموسين، منفتحتين مرفقتين صحيحين غير معلتين، أما عند اللغويين المحدثين،فهما صوتان احتكاكيان، مهموسان، منفتحان، مرفقان صحيحان،غير معتلين [1]، أما مخرجهما عند جل اللغويين العرب القدامى، فهو متقارب فمخرج الهاء هو أقصى الحلق، أما مخرج الحاء فمن وسطه.

أما عند اللغويين المحدثين، فمخرج الهاء هو الحنجرة (صوتي حنجري) أما صوت الحاء فهو صوت صادر من الحلق (الحلق الصوتي)[2]، يسحب مبدأ النقل أو التدخل على الحروف التي أصابتها اللكنة.

أدرج الجاحظ الكثير من صور اللكنات سواء تعلق من بالخاصة أو العامة من الأعاجم، ضمن باب اللحن، وهو ما دل على أن اللحن أعم من اللكنة هذا من جهة، ومن جهة أخرى تختص اللكنة بما ترتضخ ألسنة الأعاجم، بخلاف اللحن الذي يتساوى فيه العربي مع الأعجمي، ناهيك عن كون اللكنات تمس كل مستويات اللغة.

1–ينظر: آمنة ابن مالك، الحروف العربية، دراسة لغوية صوتية،ص:98–99–100.

2–ينظر:أحمد مختار عمر، دراسات الصوت اللغوي، ص275.

3-اللحن: لئن كانت اللكنة بشتى صورها السابقة وجها من وجوه اللحن فإنه لا يقتصر عليها بل يتعداها إلى صور أخرى، نترصدها في الأتي:

- الخطأ في نطق الحروف: سواء أكانت حروف القرآن الكريم أم حروف غيره.

أ -في حروف القرآن: قال الجاحظ: وغلط الحسن في حرفين من القرآن، مثل قوله:"ص والقرآنُ ذي الذكرُ" والصواب "ص والقرآنِ ذي الذكرِ"

والحرف الآخر "وما تنزلت به الشياطون[1]" والصواب "وما تنزلت به الشياطين"

وقال أيضا أبو الحسن قال: كان سابق الأعمى يقرأ:"هو الله الخالق البارئ المصوَّر" والصواب " هو الله الخالق البارئ المصوِّر"[2].

ب- في حرف غير القرآن: "قال: كان رجل بالبصرة له جارية تسمى ضرمياء فكان إذا دعاها قال : يا ضمياء بالضاد، فقال له ابن المقفع: قل يا ضمياء، فناداها: يا ضمياء، فلما غير عليه ابن المقفع مرتين أو ثلاثة، قال له: هي جاريتي أو جاريتك"؟[3]

- العجز عن تلفظ بعض الكلمات: قال الجاحظ :"وكان محمد بن الجهم ولي المكي صاحب النظام، موضعا من مواضع تسكر، وكان المكي لا يحسن أن يسمي ذلك المكان، ولا يتهجأه ولا يكتبه، وكان اسم ذلك الموضع شأن مثنا"[4]
- الخطأ في الإعراب: هو أشد قبحا من جميع أ صناف الكلام الملحون لأن العربي كان يعده هجنة، قال الجاحظ على لسان عبد المالك بن مروان:"اللحن هجنة على الشريف"[5]

1-سورة الشعراء الآية 210.

2-سورة الحشر الآية 24.

3-ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين ج2، ص167.

4-ينظر: المصدر نفسه،ص167-168.

5-ينظر: المصدر السابق ص170.

- الخطأ في وضع اللفظ المناسب للمعنى المناسب: كان العربي يحرص على إحداث كل التناسب بين اللفظ والمعنى، قال الجاحظ على لسان أستاذه النظام:"أنا لا أقول مت قبلك لأنني إذا قلت مت قبلك مات هو بعدي، ولكن أقول: "مت بذلك"[1].

سادسا: الأصوات اللغوية عند الجاحظ:

لم يتحدث الجاحظ عن الهجائية الصوتية العربية المكونة من ثمانية وعشرون حرفا، كما فعل السابقون إنما خصص اهتمامه على واحد من الأصوات ألا وهو حرف الضاد تجسيدا لمقولته العربية لغة الضاد لأن هذا الصوت كان شاقا عصبيا على ألسنة المولودين، قال ابن جني :"وأعلم أن الضاد للعرب خاصة ولا يوجد من كلام العجم إلا في القليل"[2].

ويقول الخليل في مخرجها:"... والجيم والشين والضاد شجرية لأن مبدأها من شجر الفم: أي من مخرج الفم"[3].

أما سيبويه فيوضح ما قاله الخليل بقوله: ومن بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس مخرج الضاد [4]،أما الجاحظ فيبين مخرج الضاد بتوضيحه كيفية نطق سيدنا عمر رضي الله عنه لهذا الصوت، فيقول:" فأما الضاد فليست يخرج إلا من الشدق الأيمن، إلا ان يكون المتكلم أعسر يسرا"[5].

ولصعوبة نطقها عند العرب غير العرب قال الجاحظ: ليس للروم، ولا للفرس ضاد ولا للفرس ثاء، ولا للسرياني ذال وأشار كذلك إلى إبدال الذال المعجمة، دالا فقال:"والصقلبي يجعل الذال المعجمة دالا في الحروف"، وهذا النوع من الإبدال موجود في لهجاتنا

---

1 -ينظر: المصدر نفسه 162.

2-ابن جني ،سر صناعة الإعراب، ط3، ج1، ص:223.

3-الفراهيدي، العين، تر: عبد الحميد الهنادوي، ط1، مج1، دار الكتب العلمية، بيروت،ص65.

4-سيبويه، الكتاب، ص:489.

5-رجل أعسر أيسر : يعمل بيديه جميعا...

العربية،فهذه الذال في العامية السودانية تصير ضادا، أما في المصرية تصبح دالا، فيقولون في ذيل "ديل" وللسبب الإبدال هو قرب مخرج الذال من الدال، بالإضافة إلى اشتراكهما في الصفة وهي الجهر.

قال:"والنحاس يمتحن لسان الجارية إذا ظن أنها رومية وأهلها يزعمون أنها مولدة بأن تقول: "ناعمة" و "شمس" ثلاث مرات متتالية[1]

وكان قيلا قد أوضح أنه يستعصي على الرومي نطق الضاد ويسهل عليه نطق السين أما العين قد أثبتت سهولة نطقها عند الجرامقة

وأشار ذلك بقوله: النبطي القح يجعل العين همزة فيقول في مشمعل مشمئل.[2]

1-سيبويه، الكتاب، ج1، ص:71.

2-المرجع، نفسه ،ص:65.

الفصل الثاني:

الجهود الدلالية عند الجاحظ من خلال

كتاب البيان والتبيين

الفصل الثاني:

1 -قضايا علم الدلالة عند الجاحظ:

أما دلالات جمع دلالة فإنها تعني عند الجاحظ مختلف أنواع الإشارات المستعملة لإبراز مضمون الفكر، أي "مختلف الوسائل التعبيرية الممكنة" وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ و غير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد:"أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد ثم الحال التي تسمى :النصبة."[1]

أولا: اللفظ: هو من إحدى الدلالات الخمس على المعاني، كما تعتبر الخاصية الأساسية للإنسان التي تميزه و المتمثلة في قدرته على الكلام و التعبير عما في نفسه عن طريق الألفاظ.

في قول الجاحظ:" البيان بصر و العيُّ عم ى."[2] نجده يعتبر البيان باللفظ كالبصر و العكس فمن يعييهم الكلام كأنهم عمى لا يبصرون. و نجده في موضع آخر يعتبر البيان من نتاج العلم كما يعده ترجمان العلم و عماده.

ثانيا: الإشارة: هي كذلك إحدى الدلالات الخمس على المعاني، عدها الجاحظ من لغات البيان و التبيين وأدواتها من أعضاء الجسم، كاليد والرأس والعين والحاجب والكنب وغير ذلك من يستعين به المتكلم ليعبر عما في نفسه و مكنوناته. و يجعل الجاحظ الإشارة و اللفظ شريكان فهي معينة كاللفظ مدعية له، فكثيرا ما تنوب عن اللفظ كما يبرز أهميتها بين المتكلين في قوله: " وفي الإشارة بالطرف و الحاجب و غير ذلك من الجوارح، مرفق كبير، ومعونة حاضرة، في أمور يسيرها بعض الناس من بعض، و يخفونها من الجليس وغير الجليس، ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص و لجهلوا هذا الباب البتة.[3] "

---

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص76.

[2]- المصدر نفسه، ج1، ص78.

[3]- المصدر نفسه، ج1، ص78.

ونقل الجاحظ قول الشاعر: "في دلالات الإشارة."[1]

أَشَارَتْ بَطرَفِ العَيْنِ خَيْفَةَ أَهْلِهَا إِشَارَةَ مَذْعُرٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمِ

فَأَيقنْتَ أَنَّ الطَرَفَ قَالَ مَرْحَبَا وَأَهْلاً وَسَهْلاَ بِالْحَبِيْبِ اَلْمُتَيَّمِ

و قال آخر:

وَلِلَقَلْبِ عَلَى اَلْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ

وَفِي النَّاسِ مِنَ النَّاسِ مَقَاييسُ وأَشْبَاهُ

وَفِي الْعَيْنِ عَلَى لِلْمَرْ ءِ أَنْ تَنْطَقِ أَفْوَاهُ[2]

مما سبق نستنتج أن: الأبيات السالفة الذكر تبين أهمية الإشارة و أن المتكلم في بعض المواقف ليس بحاجة إلى التلفظ قد يستعين فقط بالإشارة تغنيه عن النطق و الكلام.

ثالثا: الخط: ويعني به كتابه الكلام و تدوينه، وقد ذكر الجاحظ بعضا من الآيات التي تتحدث عن فضيلة الخط قوله تعالى للرسول صلى الله عليه و سلم: « اقرأ و ربك الأكرم الذي علم بالقلم [3]علم الإنسان ما لم يعلم.»

إضافة إلى هذا فهو: أحد اللسانين، و القلم أبقى أثرا و اللسان أكثر هدرا.[4]

في حين أن:« اللسان مقصور على القريب الحاضر، فإن القلم مطلق في الشاهد والغائب.» حين أن اللسان محدود لا يتعدى سامعه مكان وزمان معينين.

رابعا: العقد: وهو ضرب من الحساب، ونوع من البيان بالحساب، وكسابقتها يبين الجاحظ فضيلته في بعض آيات القران، نقل قوله عز وجل: « هو الذي جعل الشمس ضياء و القمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين و الحساب.»

[1]– المصدر نفسه، ج1، ص78

[2]– المصدر السابق، ج1، ص79.

[3]– سورة العلق، 3،4،5

[4]– المصدر نفسه، ج1، ص79.

وينبه الجاحظ إلى منافع الحساب الجليلة:« ولولا معرفة الميعاد بمعنى الحساب في الدنيا لما فهموا عن الله عز وجل معنى الحساب في الآخرة.»[1]

وأن:« في عدم اللفظ وفساد الخط و الجهل بالعقد فساد جل النعم.»[2]

فالجاحظ يعد الحساب نعمة من النعم الجليلة للإنسان فعد الجهل به فساد جل النعم.

خامسا: النصبة: هي ما توحي به الأشياء لعقل الناظر المتأمل، فالجاحظ يعتبرها «الحال الناطقة بغير اللفظ و المشيدة بغير اليد"[3]

ومعنى هذا أن الجماد و الموت و السكون في الطبيعة و الكون تعبر عن نفسها بإشارة من جنسها وهي الحال الدالة أو النصبة المتكلمة في صمت أي دلالة عقلية.

2 الصور اللفظية والصور غير اللفظية:

أ -**الصور اللفظية:** إن الوظيفة الأساسية للغة هي التعبير من أجل التواصل و التفاهم مع الآخرين، ويبد هذا جلي في تعريف ابن جني للغة: «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم.»[4] وهذا التعريف بين عناصر تشكل معنى اللغة عند ابن جني، فمن عنصر طبيعي كونها أصواتا تصدر من جهاز النطق لدى الإنسان وتنتقل على شكل موجات صوتية عبر الهواء إلى وظيفة اجتماعية باعتبارها وسيلة تواصل و تفاهم بين الأشخاص.

يعد رولان برت أن تعدد الأشخاص شرط أساسي من شروط اللغة، [5] و يضاف إلى ذلك التعبير اللغوي الناتج من تأثيرات الدلالات النفسية و الشعورية بمقاصد المتكلم من خطابه،

---

[1]–سورة يونس، الأية05.

[2]– الجاحظ: البيان والتبين ،ج 1، ص80.

[3]– المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

[4]– ابن جني، الخصائص، ص34.

[5]– بارت، رولان، هسهسة اللغة، تر: منذر عياشي، ط1، مركز الإنماء الحضاري، حلب، 1999، ص31.

وربط هذه المقاصد بالمعنى المتعين منها، كما يمكن أن تعد اللغة نوعا من السلوك الذي يهدف به المتكلم إلى توطيد العلاقات و المعاملات الاجتماعية.[1]

أما دي سيوسير فيربط ما بين المعاني و الصور الصوتية في تعريفه للغة. وتتمثل الصورة الصوتية لديه بالصوت من الناحية النفسية وما يتركه من انطباع وأثر في الحواس،[2] إذ وصت العلاقة بين اللغة و التواصل على أنها: " قناة اتصال واحدة تضع فردين تربطهما يبعضهما البعض شبكة وثيقة من العلاقات الاجتماعية في علاقة تخاطب".[3]

ب – الصور غير اللفظية:

يُعنى به التواصل و إيصال المعلومات أو استقبالها بغير اللغة المنطوقة، ويشمل على القنوات السلوكية أو التعبيرية، مثل تعبيرات الوجه، حركات الجسد، وتنوعات الصوت.[4]

كما أن التواصل اللفظي يقرأ بحروف اللغة و كلماتها، فإن الجسد كذلك يقرا من خلال التعابير و الإيماءات التي يتخذها، والتي تعكس ما يفكر أو يشعر به الإنسان، وهذه التعابير بعضها فطري تلقائي، وأخر يكتسب بالتعلم والملاحظة. فالإيماءات الفطرية هي إيماءات ما قبل اللغة الكلامية، وتبدأ من لحظة الميلاد وحتى السنوات الخمس التالية، وتعد السنة الأولى من حياة الإنسان هي الأهم، إذ يقلد فيها الأطفال الإيماءات قبل تقليدهم اللغة المنطوقة. ومما يحتسب من الإيماءات الفطرية ما اسماه إيكمان بالانفعالات العالمية الستة و هي ملامح

---

[1]– ينظر: مصطفى، محمد، ملامح من النظرية الوظيفية(التواصلية) عند ابن جني في كتابه (الخصائص)، مج كلية العلوم الإسلامية، العدد 2/15، مج الثامن، 2014، ماريوباي، أسس علم اللغة، ص42، الحمداني، موقف، علم النفس اللغة من منظور معرلفي، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2004، ص238.

[2]– دي سوسير: علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف عزير، دارآفاق عربية، بغداد 1985، ص33 وص85.

([3]): حجاج، كلود،إنسان الكلام: مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية، تر رضوان ظاظا، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2003، ص140.

[4]– Druchm, Daniel, nonverbak communication : survey, theiry and Research, 1st priniting, sage library of social research califor,ia, 1982, p44.

تظهر في الوجه و يشترك البشر توسماها وهي: الدهشة، الخوف، و الاشمئزاز، والغضب و السعادة و الحزن.[1]

وما يؤكد عالمية هذه الملامح أنها فطرية تلقائية. أننا نجدها كذلك عند من فقدوا البصر منذ ولادتهم.

للتواصل غير اللفظي أشكال عديدة تلتقي جميعها في أنها صادرة من الجسد، أو مما يتخذ الجسد من مظهر، وأدوات، وحيز ولكل عضو حركاته وإيماءاته الحاملة لمعان مخصوصة. ولتضافر مجموعة من الإيماءات و الحركات دلالات تشير بانفعالات هذا الجسد و اهتماماته، وهو بذلك يكون جسدا مرسلا لتكلم الحركات والإيماءات. وفي المقابل، فإنها تساعد المستقبل في تشكيل انطباع عام وكلي عن ذلك المرسل، فالرجل من غير حركات رجل ميت، والاهتمام الحيوي بكل حركة يكون لإيجاد التعبير المناسب لدواخلنا، وبذلك يجد المرء نفسه أمام رسالة غير لفظية تنتقل ما بين مرسل و مستقبل.

يوظف التواصل غير اللفظي لأهداف ثلاثة: الممارسة، والإقناع التعمية والإقناع. وترتبط الممارسة بالنوايا و الحالات العاطفية الداخلية، وما ينتج عنها من ردات فعل. أما الإقناع، فهو نشاط تلاعبي، وأداء يعزز بالتواصل غير اللفظي للتأكيد عليه ومن أمثلته المهارات التي يتقنها العاملون في مجال التسويق والتجارة أما التعمية أو الخداع، فتفسر اعتمادا على الهدف المنشود منها، فقد تعتبر نشاطا تحليليا أو تلاعبيا.

يمكن تفسير التواصل غير اللفظي ضمن عمليتين تتمثلان في معالجة المعلومات، أي استقبال الرسائل، وفك رموزها، وتفسير دلالتها لتكوين استنتاجات حول نوايا الآخرين، و العملية الأخيرة تتمثل بإدارة الانطباع، عبر إرسال الرسائل للتأثير في الآخرين، أو محاولة فهمهم، فأحدها يؤكد التفسير، و الآخر يهتم بالتأثير. وقد تكون الرسائل اللفظية صريحة

[1] –Amfody, Nalini and rosenthal, robert, Nonverbal comunication, encyclopedia of Mental Heath, vilume 2, academic press,1998, p302.

واضحة، لكن الحركات المستمرة مثل فرك اليدين يعد أكثر تعبيرا، كما أن تعبيرات الوجه تنقل معلومات أكثر من حركات الجسد.[1]

يدل ما سبق على وجود أثر فعال ومتقدم للتواصل غير اللفظي على التواصل اللفظي.فالرسائل الجسدية تختلف في نسب إيصالها للمعلومات. وهذا ما أوضحه ألبرت مهربيان في إحصائية قام بها، إذ وجد للرابط اللفظي نسبة 7 % من التواصل، و للرابط الصوتي نسبة 38 % و 55 % له صلة بالوجه، وأشارت الإحصائيات إلى أن ذلك على المشاعر أيضا ، إذ تكون النسبة نفسها للمشاعر.[2]

إن التواصل غير اللفظي لا يكون بمعزل عن اللفظ و الصوت، فهناك أدوار مشتركة حينا و تبادلية في أحيان أخرى. فقد يطغى أحدهما على الآخر ، وفي مناسبات معينة قد تفضل استخدام أحداها وترك ما عداه، وقد يدمج بينها بانسجام تام، لذا فإنها عناصر مكملة لبعضها البعض، و بالتالي مكملة للمعنى الدلالي. وفي هذا المعنى يقول الجاحظ: "وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة، وحسن الاختصار، ودقة المدخل، يكون إظهار المعنى، وكلما كانت الدلالة أوضح و أفصح، كانت الإشارة أبين وأنور، و كان انفع و أنجح."[3]

وذكر الجاحظ أن الإشارة و اللفظ شريكان، فهي عون و مفسرة و نائبة عن اللفظ، في أمور يسترها بعض الناس من بعض، و يخفونها من الجليس الغير جليس، ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص،[4] ومن دلالات الإشارة قول الشاعر:

أَشَارَتْ بِعِيْنَيْهَا إِشَارَةً خَائِفٍ حِذَارَ عُيُونِ الكَاشِحِينَ فَسَلَّمَتْ

فَرَدَّ عَلَيْهَا الطَّرْفُ مِنِّي سَلاَمَهَا وَأَوْمَا إِلَيْهَا أَسْكُنِي فَتَبَسَّمَتْ.

---

[1] –Druckman, Daniel,Nonverbal communication , p :25,31,32.

[2] : mehrabian, albert, Nomverfal communication, 2hd printing united state of america ,1977 ,p182.

[3] –الجاحظ، البيان والتبيين، ج، ص55–ص57

[4] –أبو بكر محمد بن داود، الأصبهاني، الزهرة، تح إبراهيم السامراني، ج1، ط2، الأردن، 1985، ص149.

مما سبق نستنتج أن التواصل غير اللفظي يحتوي عدادا من السلوكيات و الإشارات، والحركات، وقد يكون لكل معنى أكثر من دلالة، ولكل دلالة أكثر من سلوك أو مظهر.

ولفهم أفضلية الدلالة لابد من فهم السياق الذي تم فيه الحدث التواصلي، مع تضافر عدد من الاماءات والحركات والأصوات التماسا للمعنى المقصود. فعقد اليدين على الصدر يعتبر من الاماءات الدفاعية أو السلبية في سياق يشير بالتوتر أو الغضب أو لإخفاء المشاعر، لكنها في سياق آخر قد تعني أن فاعلها يشعر بالبرد، ويحاول التماس الدفئ.

وظائف الكلام من خلال لكتاب البيان والتبيين:

لقد أوضح "رومان جاكبسون (R.Jackobson)" الوظائف التي يؤديها الخطاب اللغوي انطلاقاً من فحوى مضمونه الذي يحدد قصد المتكلم، وغايته من إعلام السامع، الذي بدوره يتخذ أشكالاً عدة من ردود الفعل تجاه الخطاب اللغوي الذي استفزَّه وأثاره، هذه الوظائف هي: الوظيفة المرجعية، والوظيفة الانفعالية، أو التعبيرية، والوظيفة الإنشائية، ووظيفة إقامة الاتصال، والوظيفة الشعرية، والوظيفة ما بعد الألسنية ...،[1] بعض هذه الوظائف يمكن مقاربتها بوظائف أشار إليها الجاحظ في معرض حديثه عن البيان. يقول: "لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه ولا حاجة أخيه وخليطه ولا معنى شريكه المعاون له على أموره وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره، وإنما يحيي تلك المعاني ذكرهم لها وإخبارهم عنها واستعمالهم إياها" ...[2] وذلك أن المعاني كامنة مستترة لا يمكن أن يعلمها (الآخر) إلا إذا تمظهرت في أنماط مقولية، بها يطلع على ما في ضمير مخاطبه، ولا ينعقد الاتصال الإعلامي بينهما حتى يفصح أحدهما عما في نفسه من الحاجات للآخر، فكأن تلك المعاني كانت ميتة فأحييت بالذكر والأخبار والاستعمال، وهذا مايكاد (جاكبسون) يعنيه من الوظيفتين المرجعية (referentielle) والوظيفة التعبيرية أو الانفعالية (emotive) إذ الأولى تعني التخاطب بهدف الإشارة إلى محتوى معين نرغب في إيصاله إلى الآخرين وتبادل الآراء معهم،

[1]– الجاحظ: التبين والبيان، ص81.

[2]–الجاحظ: التبين والبيان، ص37.

أما الثانية فهي تتمحور حول إبراز موقف المتكلم . خاصة . من مختلف القضايا موضوع حديثه.[1]

وكان الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين " يسوق نصوصاً وأخباراً تخص بعض البلغاء وبعض الذين استشهد بكلامهم، قصد تعليل رؤيته اللغوية حول قضية من قضايا اللغة، ويمكن أن نلتمس وظيفة الاتصال (Phatique) في حوار أقامه مع صديق له يقول الجاحظ: "فقلت له . أي للعتابي . قد عرفت الإعادة والحبسة [وهما من عيوب النطق] فما الاستعانة؟ قال: أما تراه إذا تحدث قال عند مقاطع كلامه: يا هناه، ويا هذا ويه هيه، واسمع مني واستمع إليَّ، وافهم عني أو لست تفهم أو لست تعقل ...".[2] فالجاحظ يرصد هاهنا بعض "المداخل" اللغوية التي كانت توظف لإعادة إقامة الاتصال الذي قد يتعرض لاضطراب في قناته. فتأتي هذه "المداخل" لتضمن وتؤمن للاتصال استمراريته. هذه بعض الوظائف التي رصدناها من خلال معاينة ما أورده الجاحظ في كتابه، وهي تعبر بصدق عن امتلاك قوي وكبير لناصية اللغة وآلياتها في الإبلاغ والتواصل..

3 الدلالة السياقية عند الجاحظ و اختيار المكان:

إن مفهوم الجاحظ للمعنى ينبني على رصد موقعه من جملة المعاني و مقابلته باللفظ فيحدد المعنى بأنه مدلول الكلمة من الأشياء و الأفكار و المشاعر [3] كما أن طبيعة المعنى تخالف طبيعة اللفظ فالمعنى مستتر مخفي و اللفظ هو المستخدم لبيانه و ظهوره وعلى ذلك فالمعاني محلها النفس وصورتها في الذهن كما أن الفكر هو الذي يشكلها ويحدثها يقول الجاحظ " قال بعض جهابذة الألفاظ ونقاد المعاني، المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم و المختلجة في نفوسهم و المتصلة بخواطرهم و الحادثة عن فكرهم [4] هذه هي

---

[1]– الجاحظ: المرجع نفسه.

[2]– الجاحظ المرجع سابق، ص81.

[3]– ينظر: دمشال عاصي، مفاهيم الجمالية والنقد خ أدب الجاحظ، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط1، 2018، ص166.

[4]– ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص81.

مواصفات المعنى عند الجاحظ يضاف إليها لا محدوديتها ولا المعنى عند الجاحظ يضاف إليها لا محدوديتها ولا نهايتها مقابل لمحدودية الألفاظ و نهايتها يقول الجاحظ في ذلك ثم إن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ لأن المعاني مبسوطة وممتدة إلى غير نهاية وأسماء المعاني مقصورة معدودة ومحصلة محدودة.[1]

وبعد أن أوضح الجاحظ مقام المعاني بالنسبة للألفاظ ومقامها في ذهن المتكلم إذ هي أقدار وأحوال وليست على درجة واحدة من الاستعمال فما يصلح لهذا المقام و الحال قد لا يصلح لمقام وحال آخرين وهذا ما غنته النظرية المقامية ، يقول الجاحظ كاشفا عن الدلالة المقامية أنه ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني و يوازن بينها وبين أقدار المستمعين وحالاتهم.

فيجعل لكل طبقة منهم كلاما يخصهم به حتى يقسم بالتساوي أقدار الكلام على أقدار المعاني و تقييم المعاني على أقدار المقامات .... عليها المستمعون رحلاتهم [2]، فالمعاني إذن تصنف وترتب بحسب أصناف الناس في المجتمع و تباين مقاماتهم وإخلالهم وتلك رؤية علمية في غاية الدقة لطبيعة وجوهر العملية الإبلاغية التي يراعى فيها الشروط الموضوعية (الخارجية) والشروط الذاتية التي يتصف بها الخطاب و صاحبه وهو ينادي به بعض المدارس اللسانية الحديثة التي تدعو إلى ضرورة الإحاطة بوضع المتلقي النفسي و الاجتماعي حتى لا يقع المعنى في انسداد دلالي و تلك إشارة إلى وجوب التوفيق عند المتكلم بين خطابه و مقام المستمع و المتلقي و يعني ذلك أن المتكلم كان قد قام بمطابقات تركيبية تشمل المطابقة النحوية:" التأليف على سمت كلام العرب." و المطابقة البلاغية معرفية «الفصل من الوصل» فضلا على المطابقة بين اللفظ و المعنى وحسن موقع الكلمة من السياق وهو ما تشير إليه نظرية الوقوع أو الوصف. حيث يعرف ستيفن أولمان الوقوع أو الوصف بقوله: " هو

[1]– ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص131.

[2]– ينظر: الجاحظ، البيان والتبين، ج1، ص81.

الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة. "[1] ثم إن عرض الجاحظ لموضوع التنافر الحادث بين الكلمات يقدم التقرير الكافي لمنع الوقوع أو الوصف في بعض السياقات، وقد أكدت دراسات دلالية تالية في النظرية السياقية أن الجملة لا تعتبر كاملة المعنى إلا إذا صيغت طبقا لقواعد النحو و راعت توافق الوقوع بين مفردات الجملة وتقبلها أنباء اللغة بحيث يعطونها تفسيرا ملائما وهو ما سمي باسم التقبلية [2] كما اتضح في الدرس الدلالي الحديث انه كلما كان المتلقي على علم مسبق بفحوى الخطاب كلما كان استيعابه للدلالة أكثر، واتخذ الخطاب نمط الإيجار و الاقتصاد أما إذا كان كاملا مفصلا لاعتبارات شتى . فان ذلك يقتضي التبسيط في بنيته ولذلك يقول الجاحظ رأينا الله تبارك و تعالى إذا خاطب العرب و الأعراب و اخرج الكلام مخرج الإشارة و الوحي و الحذف و إذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطا وزاد في الكلام. [3] وقد يبلغ الحذف تمامه في الإضراب حيث يزول كل شيء و تبقى المعاني عارية غفلا غير موسومة.[4]

إن المقام و محدودية الدراسة لا تسمح لنا أن نفيض في المباحث اللغوية التي أثارها الجاحظ، ولو استرسلنا في عرض عطاءات الجاحظ اللسانية و الدلالية لضاق بنا الحال و لا يحتاج ذلك لدراسة مستقلة تحاول أن تقارب بين ما أبدعه الجاحظ وما قدرته الدراسات اللغوية الحديثة و حس الجاحظ وما من خلال ما قدمناه من عرض مقتضب أنه كرس رؤية علمية شاملة إذا نظر إلى بنية اللغة نظرة كلية أخذ في ذلك بمبدأ أن الدلالة لا تتحقق إلا بتفاعل الأصناف.. اللغوية المختلفة منها ما يخص المرسل و منها ما يخص المتلقي من أهل اللغة كما لم يغفل نسق المحتوى و المضمون فضلا على قناة الإرسال وعنى بها التركيب و سيما ئتها الصورية

---

[1]– ينظر: Elément de sémantique, joh lyons,troduction.J,Durand la rousse unuvessité (s.d) p10.

[2]– ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، القاهرة، ط1، ص77.

[3]– ينظر: الجاحظ: الحيوان، ج1، ص94.

[4]– ينظر: محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والأدبية عند الجاحظ، ص270.

من تأليف الكلم وفق القواعد و التركيب و النحو ، وما أظهره الجاحظ هو مرونة النظام اللغوي و قابلية الشكل و المحتوى إلى التغيير في ظل معطيات الإبلاغ و التواصل و أقرب.

4 جدلية اللفظ والمعنى داخل السياق:

شغلت قضية اللفظ والمعنى اهتمام النقاد العرب القدامى ودارت بينهم النقاشات المستفيضة عن المسألة، فكان مدار الأمر بشأن النص الشعري أو النثر الأدبي الجميل والبليغ، ما سر الجمال والإبداع فيه هل هو بفعل تناسق ألفاظه وجمالها ؟ أم نتيجة بنمو معانيه واتساقها ؟! ، فانقسموا إلى فرق ومذاهب انتصوا بعضها اللفظ وانجاز البعض الأخر للمعنى،وكان للنقاد العرب أراء متباينة ومختلفة في المسألة وفيما يلي استعراض لأهم هذه الآراء:

أ-عند السكاكي:

عند السكاكي: يتسم بحسن جمع وتبويب لمباحث علم المعاني، وإحكام بناء في تقسيم الأبواب ركز فيه السكاكي على محاولة مباحث البلاغة المبعثرة عند من سبقه ، بخاصة عبد القاهر الجرجاني في نظريته للنظم التي يبدوا أنه انتقاد منها كثيرا في هذا الباب ، وما علم في نظريته للنظم التي يبدوا أنه انتقاد منها كثيرا في هذا الباب، وما علم المعاني عند السكاكي إلا ما أصطلح عليه الجرجاني بالنظم يقول احمد المطلوب:" وحينما قسم السكاكي البلاغة غلى علومها المعروفة أطلق مصطلح "علم المعاني" على الموضوعات التي تسماها عبد القاهر نظم"[1].

ولا شك أن تهرته تبدأ مع التقسيم الثالث الخاص بعلمي المعاني والبيان، وشأنه في البلاغة شأن سبويه في النحو فقد تحدث عن الخبر والجملة الخبرية والوصل والفصل والثني في والأمر وعن البديع بنوعيه المعنوي واللفظي وكتاب مفتاح العلوم للسكاكي، بمنظور

1-أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة العلمي العراقي، بغداد،جز3، 1987م ، ص:278.

اللساني بشكل نشاطها لغويا ذي وظائف متعددة يبحث السكاكي من خلالها عن أهداف محددة ومرتبطة بسياقات متعددة وبذلك نشاط واع ينفذه وفقا لشروط ينتج خطابه من خلالها ولذلك يصرح "محمد العمري" بأن المشروع الذي ذهب فيه، كان أشبه بعلم النص عند اللسانيين المعاصرين ،إذ جعل البلاغة مساوية في أخر المطاف لعلمي المعاني والبيان فإن " فان دايك" يصرح بأن علم النص هو الممثل العصري[1]،

فهو واضع الصيغة النهائية لعلم البلاغة بعدما رأى مباحثه مبعثرة الأبواب لا رابط يجمعها، فقام بتحديد مباحث البلاغة وضبط المصطلحات جاعلا إياها:"علم المعاني وعلم البيان مع الإقرار بكون الأخير ليس إلا تسمية من علم لا تنفصل عنه إلا بزيادة اعتبار" [2]،ثم أضاف لهما وجوها تحسينية، وعلم المعاني لا يتم إلا بعلمي الحد والاستدلال، ومنهجه في علم البلاغة، يقوم على ضبط المسا ئل وحصرها ووضع الحد لكل علم فروعه بما يضمن سهولة الإحاطة وتقريبها إلى المنهج العلمي،حيث كان يهدف أيضا إلى حساب البلاغة عمليتها كسائر العلوم في عصره، من خلال تنظيم ملاحقها وتهذيبها وإعطائها مصطلحاتها النهائية مستعينا في ذلك بعلوم المنطق والفلسفة فعمل السكاكي في البلاغة "إنما هو سعي إلى جعل البلاغة بمفاهيمها وطرقها وطرق الإجراءات فيها تكتسب صفة العلم شأن بقية العلوم صرفا وإعرابا و كلاما وأصولا[3].

والسكاكي أول من أطلق "علم المعاني" على المباحث التي يحثها فيه وأول من أطلق على مباحث التشبيه والمجاز، والكتابة اسم علم البيان، وأول من حكم عل علم البيان بأنه منتزل من علم المعاني منزلة المركب من المفرد، كما أنه أول من فرق بين هذين في كتابه المفتاح قال في شأن البديع وإذ تقرر أن البلاغة بمرجعيها، وأن الفصاحة بنوعيها مما يكسو

1-محمد العمري: البلاغة بين التصيل والتداول، إفريقيا الشرق، المغرب،د،ط، 2005، ص5.

2-السكاكي مفتاح العلوم، ص:20.

3-أحمد إبراهيم موسى، دار الكتاب العربي، القاهرة 1388ه/1969م، ص:252.

الكلام حلة التزين، ويرقبه أعلى درجات التحسين وهي قسمان: قسم يرجع إلى المعنى وقسم يرجع إلى اللفظ[1].

فالبرغم من أنه قد فصل بين علمي "معاني والبيان" ,أطلق عليهما هذين الاسمين،لم يعرض لألوان البديع على أنها علم مستقل عن علمين، بل إنهما نشارك مسائلهما في تزيين الكلام بأبهى الحلل والوصول به إلى أعلى درجات التحسين [2]،وبناء على هذا التصنيف رأى أن علم البيان يخرج من نطاق الدلالات حيث لا يكون بينهما تفاوت، أما عن منهجه في كتاب "مفتاح العلوم" يقول عنه أحمد مطلوب أنه يكثر من الاستشهاد بآيات القرآن الكريم، وهذا أمر طبيعي لأنه يريد أن يظهر ما في آيات الكتاب من روعة وإبداع وبلاغة، وقف أمامها العرب مسحورين، ويأتي الشعر في الدرجة الثانية[3]، وقد صنف السكاكي كتابه المفتاح بعد إطلاعه على أعمال أسلافه أمثال : الجاحظ وقدامة بن جعفر، ويكفي القول أن الجرجاني (471هـ) بكتابيه (الأسرار) و (الدلائل) هو الأساس الذي أرسى عليه السكاكي قواعد القسم الثالث من كتابه مفتاح العلوم في البلاغة.

ب- عند الجرجاني:

(نظرية النظم) امتد الجدل في هذه القضية النقدية حتى وصل إلى أحد أعلام العربية وشيوخها البارزين وهو الإمام عبد القاهر الجرجاني الذي كان له رأي مميز في هذه المسألة، فقد رفض الفصل بين اللفظ والمعنى وعدهما متلازمين بالضرورة.

فوجد بعض البلاغيين والنقاد أسرفوا في تعظيم شأن اللفظ فأرجعوا كل مزية في الفصاحة والبلاغة له لذلك قال:" وأعلم انك كلما نظرت وجدت سبب الفساد واحدا، وهو ظنهم الذي ظنوه في اللفظ وجعلهم الأوصاف التي تجري عليها كلها أوصا قاله في نفسها من حيث

1-السكاكي، مفتاح العلوم، ص:20.

2-أحمد إبراهيم موسى: دار الكتاب العربية، ص:253.

3-أحمد مطلوب، البلاغة عند السكاكي، دار النهضة،بغداد،ط1، 1384هـ، ص183.

هو لفظ ولم يشكوا أنه ينبغي أن يعتد به في الفصاحة [1]،إن الإعجاز عنده ليس مرده اللفظ، فالألفاظ مادة للغة، وهي معروفة لدى العرب فلا يمكن أن يغدوا التحدي والمزية من دون إدراجها في التراكيب المفيدة، فالألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مفردة مستقلة، بل إن تفاضلها يثبت من خلال ملائمة معناها لمعنى اللفظة التي تجاورها في السلسة اللغوية.

يقول:"وهل تجد أحدا يقول هذه اللفظة الفصيحة،إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملاءمته معناها لمعاني جارتها فلا جمال للفظ من حيث هو صون مسموع وحروف تتوالى في النطق، وإنما يكون ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب"[2].

فالألفاظ عنده تكون مرتبة في النطق، وذلك أن تراتب المعاني أولا في نفسك ثم ترتيب الألفاظ في نطقك، وهو لم ينكر اللفظ ولكنه أنكر أن يكون هو وحده موطن الإعجاز والبيان،وفيها تتجلى الصورة الأدبية عن طريق صياغتها ،فإذا كانت العبرة بالألفاظ في مواقعها من الجمل، فلبين ذلك لأنها المقصودة أولا بالفكر إذ لا يعقل أن يقصد أولا في الترتيب المعاني في استقلال عن اللفظ، ثم بعد ذلك ي ستأنف النظر في الجملة الدالة عليها، ولا يقصد إلى ترتيب الألفاظ وتواليها على نظام خاص في استقلال عن الفكر، ويمكن ترتيب الألفاظ أن يقع ملازما للمطلوب الأول وهو المعنى المدلول عليه في الصورة[3].

انتبه الجرجاني إلى قيمة السياق في الدلالة أرجعها إلى علاقة الكلمة بما يجاورها حيث قال: أعلم أن هنا أصلا أنت ترى الناس فيه في صورة من يعرف من جانب وينكر من أخر، وهو أن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة، لم توضع بينهما فوائد، وهذا علم شريف وأصل عظيم[4]

1-الجرجاني،أسرار البلاغة ،ص54.

2-الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 65.

3-المصدر نفسه ص327.

4-المصدر نفسه،ص353.

فالجرجاني يؤكد أن لا معنى للتفاصيل الكلمات من غير النظر إلى سياق الذي وردت فيه، وقد مثل ذلك بقوله: " ولو عمدت إلى بيت شعر أو فصل نثر فعددت كيف جاء واتفق وأبطل نقصده ونظامه الذي عليه بنى وفيه افرغ المعنى وأجرى وغير ترتيبه الذي أفاد ما أفادا فقيل:" قف نبك من ذكرى حبيب ومنزل"، "ومنزل قف ذكرى من نبك حبيب خرج عن كمال البيان إلى مجال الهذيات وسقطت نسيته من صاحبه"[1].

فالمعنى عنده هو ذلك التصور في اللفظ الذي يجعله يبدو في هيئته ويكون الدلالة المعنوية، فلا يكون كناية وتمثيلا به ولا استعارة، بحيث تكون دلالة غرضها مجرد اللفظ وهي تأدية وظيفة الاشارية ، "فهو المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه تغير واسطة" [2]، واللفظ مادة الأدب، لكن يتدخل النظم في تلاحم الدلالات لخلق صورة أو معنى على مصور فالمعنى هو ما وجد قبل التعبير، وبالتالي الغرض الذي يقصد به المتكلم وهو متعدد الدلالات، وقد حصره الجرجاني بشكل عام في مجموع دلالات الألفاظ في سياق بحيث لا يكون قاصر ا في تأدية واجبه نحو الفكرة والمضمون الفلسفي بل يتعدى إلى الخلق الذي يخرج به التركيب من إحساس وصورة وصوت وفكرة و" كل ما ينتج عن سياق من فكرة و إحساس وصوت"[3].

وقد أورد الجرجاني نصا يشتمل على أنواع المعنى الثلاثة المعجمي، والدلالي، والوظيفي يقول فيه:"ينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف وقبل أن تصير إلى صورة التي بها يكون الكلم إخبارا وأمرا ونهبا واستخبارا وتعجبا (المعنى المعجمي) وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل لها إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة، وبناء لفظة على لفظة (المعنى الوظيفي)، هل يتصور أن يكون بين اللفظين تفاضل في الدلالة حتى تكون هذه أدل على معناها الذي وضعت له من صاحبتها على ما هي موسومة به "المعنى

1-الجرجاني، أسرار البلاغة،ص:5.

2-أحمد علي وهمان، الصورة البلاغية، دار طلاب للدراسات والترجمة،دمشق،سوريا،ج1/1986،2،ص:235.

3-المصدر السابق، ص:259.

الدلالي"[1]، لم يكثف عبد القاهر الجرجاني بدلالات الصياغة اللغوية وإنما بحث فيها وراء هذه الدلالات فيما سماه المعنى ومعنى المعنى، وقد ربط بين المعاني المعجمية والمعاني الوظيفية ربطا يمكن من خلاله القول إن المعنى الدلالي ناتج عن المعاني المعجمية والمعنى الوظيفي وفكرة المقام.

يعتبر الجرجاني في نظريته من أنصار الصلة بين اللفظ والمعنى لأن التلاِؤم قد وقع بينهما في العملية الذهنية الأولى، وأكد أن لا مزية لحصر المعنى دون اللفظ، أو حصر اللفظ دون معنى، فالمزية ترجع لكليهما ؛ لأن اللفظ لا يتصور أن ينفصل عن المعنى، كما أشار إلى شكل عملية الفكر اللغوي التي تتم في وقت واحد.

وقد ذهب الجرجاني من المفاهيم المرتجلة لدلالة الألفاظ والمعارف وأقامها على أصل لغوي وعلمي رصين، وأدرك مسبقا سر العلاقة القائمة بين اللفظ والمعنى، ورفض القول بإيثار أحدهما على الأخر، واعتبرهما بما لهما من مميزات وخصائص واسطة تكشف عن الصورة، فقال بالنظم تارة، وبالتأليف تارة أخرى مما لم يوفق إليه الفرقاء في النزاع، والملاحظة عنده أن النظم عبارة عن العلاقة بين الألفاظ والمعاني، وأنها تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل[2].

فقد حاول من خلالها أن يبحث في التركيب اللغوي وهذا يحيل على مفهوم جاكبسون الذي يرى أن النص يتميز بتقديم الإمكانيات اللغوية[3]، فالأبواب التي تحدثت عنها في الدلائل لتفسير النظم لا تبتعد عن كونها جمع لشتات متفرق بين كتب البلاغة والنحو، وأضاف إليه جانب من التحليل فمعني النحو عنده ليست في الإعراب وإنما تتجلى في معرفة مدلول

1-الجرجاني،دلائل الإعجاز،ص:49.

2-الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:41.

3-عبد الفتاح كليتو ، الأدب والغرابة،دار الطليعة بيروت، لبنان،ط2،1983م، ص:20.

العبارات فالنظم عنده هو الأسلوب، فالأسلوب الضرب من النظم والطريقة [1]، وهذا ما وصل إليه الجرجاني وهو إيجاد الأسلوب نحويا أو بلاغيا، كما كان له الفضل في بناء علم المعاني فالغرض الأصلي من الكلام هو العلاقة بين النظم والنحو يقول الدكتور شوقي ضيف في كتابه (البلاغة تطور وتاريخ):"لعبد القاهر مكانة كبيرة في تاريخ البلاغة، إذ استطاع أن يضع نظريتي علمي المعاني والبيان وضعا دقيقا، أما فالنظرية الأولى فخص بعرضها وتفصيلها كتابه (دلائل الإعجاز)، النظرية الثانية فخص بها وبمباحثها كتابه(أسرار البلاغة)" [2]، ثم يخص علم البيان من بين الفروع العلم فيقول:"ثم إنك لا ترى علما هو أرسخ أصلا، وأحلا جنى، وأعذب وردا، وأكرم نتاجا، وأنور سراجا في علم البيان"[3].

وبمعنى "الجرجاني" النظر في بيان معنى النظم ويزيد في توضيحه وتفسيره فيورد في كتابه نصا طويلا لخص فيه قضايا المتعلقة بالنظم ضمن هذا النص قوله:"واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علن النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا بزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي سميت لك فلا تحل بشيء منها، وذلك أن تعلم شيئا بتغيبه الناظم، نظمه غير أن ينطفي وجوه كل؟

فالجرجاني أن يؤكد بأن النظم يكمن في توخي معاني النحو ووضع الألفاظ موضعها في الترتيب والتأليف والاختيار فبرزت بذلك قيمة كتابه دلال الإعجاز النصية في أنه جمع بين علوم كثيرة كالنحو وعلم المعاني وعلم البيان والتفسير ودلالة الألفاظ والمعجمية، وبحسب نظرية النظم يمكننا فهم النص من داخله وهذا بالبحث في الفصل والوصل والتقديم والتأخير والحذف، وتعد جهود الجرجاني في هذا المجال ذات أهمية كبيرة من خلال إسهاماته الجبارة في كتابه "دلائل الإعجاز"، إذ يعتبر همزة وصل بينه وبين ما يسمى اليوم بعلم النص خاصة

1-عبد القادر حسين، أثر النجاة في البحث الغلابي، ص:373.

2-شوقي ضيف،البلاغة تطور وتاريخ،ط7، دار المعرفة،دط، د ت ،ص160.

3- المرجع السابق ص:160.

حين تحدث عن قضية الفصل والوصل التي خص لها بابا في كتابه أسماه "باب الفصل والوصل"، والمقصود من الفصل والوصل معرفة مواطن ترك العطف (الفصل) وذكره (الوصل)، أي ما ينبغي أن يضع في هذا المجال من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف قبل المجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد الأخرى من أسرار البلاغة [1]، فالفصل هو الربط الوحدات اللغوية والتراكيب بواسطة حروف العطف فهو يحتاج (الوصل)إلى نوع التكامل الدلالي بين الأجزاء الموصولة، فقد أكد الجرجاني عن الوصل أنه يعتمد على دلالة المشاركة.

أما الفصل فقد لا يعني انقطاع العلاقة الدلالية بين الجملتين كما يوهم المصطلح لكن يعني أن المستوى العمق يفصل بين الجملتين يوضع عنصر طارئ تطلبه إحدى الجملتين [2]، فهو يعني الفصل والالتحام بين الجملتين دون استعمال حروف العطف، وقد أفاض الجرجاني في سوق الأدلة التي توضح النظم ومعاني النحو لا يمكن أن يفهم أحدهما دون الأخر "فسبيل المعاني كسبيل الأصبغة والأحجار الملونة التي تعمل منها الصورة والنفس ولا معنى للنقش والتصوير دون إيحاءات وتحسن الصورة بما تملك من مقومات فنية [3]، فقد حضيت ظاهرة الوصل والفصل بنصب وافر من الدراسة عنده، فيقول في حديثه في الفصل والوصل:"أعلم أن العلم كما ينبغي أن يضع في الجمل من عطف بعضها مع بعض، أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة تتألف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة وما يتأثر لتمام الصواب فيه الأعراب ، لخلص ولا قوم طبعوا على البلاغة وأتوننا من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه جدا للبلاغة[4].

5 الجدل حول نشأة اللغة:

1-المصدر نفسه، ص:252.

2-منير السلطان، بلاغة الكلمة والجملة، مطبعة المعارف،ط3.،1991، مصر، ص:181.

3-وليد محمد مراد، نظرية النظم،ط1، دمشق 1983، ص:28.

4- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:222.

تعددت النظريات حول نشأة اللغة، ولم يصل العلماء والمفكرون إلى تحديد أصل هذه اللغة. بل اختلفوا أشد الاختلاف فيها إذ لم يختلفوا في شيء من مسائل علم اللغة، كما اختلفوا حول موضوع نشأة اللغة. قد تنوعت آراؤهم، واختلفت مذاهبهم ، ومع ذلك لم يصلوا في بحثهم إلى نتائج يقينية، بل كان جل آرائهم يصطبغ بالصبغة الشخصية، ولم يتجاوزوا مرحلة الفرض المبني على الظن والحدس " [1]، ويؤكد ذلك ماريو باي بقوله :"فيما يختص بنشأة اللغة وطبيعتها، لدينا مصادر تعتمد على الأساطير والحديث المنقول، والمناقشات الفلسفية، ولكن تنقصنا الحقائق العلمية في هذا الصدد"[2].

وعلى الرغم من هذا وذلك إلا أن موضوع نشأة اللغة يظل حبيس الظنون ، واختلاف المفاهيم للوصول إلى تعريف محدد لنشأة اللغة سواء من القدماء أم من المحدثين. حتى إن الجاحظ لا نجد له مفهوم محدد يوضح نشأة اللغة ، فقد ذكر أحد الباحثين أن عرض الجاحظ لآراء الآخرين كان "من دون أن يعلق عليها أحيانا، أو طرحه لكثير من المسائل من دون أن يبدي رأيه فيها، كأن يكون رافضة أو مؤيدة لتلك الآراء وتلك المسائل، يترك المجال فسيحة أمام الباحثين للاجتهاد من أجل الوصول إلى تحديد رأيه في هذه المسألة أو تلك، ولم يكن ذلك إلا استشفافا يستشفه الباحث بعد أن يطيل النظر في النصوص التي أوردها الجاحظ، ولم يوضح موقفه فيها صراحة. وهذا هو الأمر مع موضوع نشأة اللغة حيث اختلف الباحثون في تقرير أي من نظريات نشأة اللغة تلك التي تبناها الجاحظ [3].

وفي رأينا أن آراءه تتذبذب بين نظريتي الإلهام والمواضعة (الاصطلاح)، لما لمسناه من خلال استقرائنا لنصوصه في حديثه عن اللغة ونشأتها فلا يوجد رأي محدد يميل إليه. ويذكر الباحث علي أبو ملحم معلقا على ذلك بقوله:" ليس للجاحظ رأي واحد في الأمر، ولكننا نسمعه يقول (إن اللغة عارية في أيدي الناس ممن خلقهم ومكنهم وألهمهم وعلمهم). ومعنى ذلك أن اللغة من خلق اللغة ألهم الناس إياها أو أعارهم إياها إعارة. ولكن الجاحظ لم

1-رمضان عبد التواب، مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي،دط، دت،ص45.

2-ماريوباي، لغات البشر، ترصلاح العربي،ص 109/17.

3-محمد أبو زهرة،البحث اللغوي عند الجاحظ،ص211.

يوضح لنا كيفية حصول ذلك الإلهام وزمانه، وهل أن جميع الناس في مكان وزمان ما أنزل عليهم جميعا الوحي مرة واحدة أم أنزل على بعضهم ثم تولى هذا البعض تعلم اللغة للآخرين[1]

كما أسرد حجة أخرى يوردها الجاحظ تمثلت في كلام بعض الأنبياء، فإسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام أنيم اللغة العربية المبينة إلهام على غير التلقين والتمرين، وعلى غير التدريب والتدريج، وكيف صار عربية أعجمي الأبوين [2]، و "كلام عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم في المهد، وإنطاق يحيل عليه السلام بحكمة صبية، وكذلك القول في آدم وحواء عليها السلام ، وقد قلنا في ذئب أهبان بن أوس، وغراب نوح، وهدهد سليمان، وكلام النملة، وحمار غزير ، وكذلك كل شيء أنطقه الله بقدرته وسخر لمعرفته "[3]ومن هذا الكلام نجد الجاحظ لا يميل كل الميل إلى أن اللغة أصلها اصطلاحية أو إلهامية ، فلم يحدد موقفه من نشأة اللغة بدليل أنه ينتقل في موضع آخر في أثناء حديثه عن اللغة وكيف تكونت من تقليد الأصوات الموجودة مثل القطا الذي هو صوت الطائر، ومثل المواء وهو صوت الشاة"[4].

وترى أن كلامه هنا يشير إلى أن اللغة إلهام لكنه لم يصرح بذلك ، فتلقين اللغة من غير دربة، وبوصف أن النبي إسماعيل ليس عربية أعجمي الأبوين فإن ذلك يدل على أن اللغة إلهامية وليست اصطلاحية، لأنها لو كانت كذلك لكان الأولى أن يكون النبي إسماعيل عليه السلام أعجمية مثل والديه ، بوصفه أنه يكتسب اللغة من الوالدين ومن البيئة المحيطة به. إلا أن ذلك لا يعني أنه يميل إلى أن اللغة إلهامية (توقيفية) ، ولا ننسى الكلام الذي أتبعه الجاحظ عند حديثه عن النبي عيسى عليه السلام عندما تحدث في المهد، وبوصف الطفل يتحدث في المهد دون دربة أو تلقين معنى ذلك أنه أم اللغة إلهامة ، وترى الباحثة أيضا أن هذا ليس سببا كافيا لجعله يميل إلى أن اللغة إلهامية(توقيفية).

1-علي أبو ملحم، المناحي الفلسفية عند الجاحظ،ص224.

2-الجاحظ_ البيان، والتبيين ج3،ص290.

3-المصدر نفسه: ص292-293.

4-علي بو ملحم، المناحي الفلسفية عند الجاحظ،ص234.

و يسند حاتم الضامن إلى الجاحظ رأي نشأة اللغة أنها إلهام في أثناء حديثه عن نظريات نشأة اللغة (المذهب التوقيفي) فقال : " ووجدنا الجاحظ يؤمن بهذه النظرية في رسالة مناقب الترك1.

وهذه الرسالة تشير إلى إلهام اللغة وتوقيفها ، إلا أن ما نصه الجاحظ هنا لا يشير صراحة إلى أن مفهوم نشأة اللغة عنده إلهامي لذا نعود إلى ما بدأنا الحديث عنه هو تذبذب الجاحظ في رأيه عن نشأة اللغة، وهذا ما ذكره الباحث محمد عبد الزهرة (البحث اللغوي) عند الجاحظ بقوله:" ولا أجد في هذا النص ما يدل على أن الجاحظ يؤمن بنظرية الإلهام، وإنما كان يرى ذلك برهانا على رسالته ونبوته" 2، و نجد تفسير الجاحظ لقوله تعالى : (وعلم ادم الأسماء كلها) البقرة ٣١.

لا يشير إلى أن اللغة توقيفية على وجه التحديد وإنما نجده يجمع بين التوقيف والاصطلاح بوصف أن أصل اللغة توقيف ثم صارت اصطلاحا وتواضعة من خلال احتياجات الناس بشكل عام لما يدور في خلجات أنفسهم، وليتم التواصل بين بني الإنسان. أي إن اللغة لم "توضع كلها في وقت واحد، بل وقفت متلاحقة متتابعة 3، لهذا " فإذا زعمت أن الله تبارك وتعالى علم آدم الأسماء كلها بمعانيها، فإنها تعني نهاية المصلحة لا غير ذلك 4، وهذا هو الصواب فإن انتهت المصلحة بانتهاء المعاني توقفت اللغة عن التطور وتوقف الإنسان عن التواصل .

وهذا ما جعل الجاحظ يتذبذب في رأيه عن نشأة اللغة وميوله إلى نظرية ما محددة ، ولهذا نجده يجمع بين النظريتين الإلهام والاصطلاح ، ولعل الجاحظ أول من أشار إلى هذا المذهب في أصل اللغة5.

وإذا نظرنا إلى الجانب الديني عند العرب فقد كانوا يعتمدون على قوله تعالى **(وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا)** البقرة: 31، وهذهالآية، كما ترى، ليس صريحة كما يدعون لجعل أصل اللغة

1-حاتم صالح الضامن،علم اللغة، جامعة بغداد، دط، دت، ص96.

2-محمد عبد الزهرةالبحث اللغوي عند الجداحظ ، جامعة بغداد، 1996،ص96.

3-السيبوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها،ج1،بيروت، جانفي ،1998، ص55.

4-الجاحظ ، فلسفة الجد والهزل ،دار الشؤون الثقافية العامة، أفاق عربية،2001،ص236.

5-ينظر: محمد أبو زهرة، البحث اللغوي عند الجاحظ، ص218.

توقيفية، إذ يحتمل أن يكون معناه –كما ذكر ذلك ابن جني في كتابه الخصائص وذهب إليه كثير من أئمة المفسرين – إن الله تعالى أقدر الإنسان على وضع الألفاظ [1]، أما الجانب الديني عند الفرنجة فقد كانوا يعتمدون " على ما ورد بهذا الصدد في سفر التكوين إذ يقول:(والله خلق من الطين جميع حيوانات الحقول وجميع طيور السماء، ثم عرضها على آدم ليرى كيف يسميها وليحمل كل منها الاسم الذي يضعه له الإنسان. فوضع آدم أساء لجميع الحيوانات المستأنسة ولطيور السماء ودواب الحقول) وهذا النص ، كا ترى، لا يدل على شيء مما يقول به أصحاب هذه النظرية؛ بل يكاد دليلا عليهم – وفضلا عن هذا كله فإن هذه النظرية تغفل إغفا لا تاما المشكلة الرئيسة التي تهمنا [2]، والمشكلة هنا هي أصل اللغة؛ ومن هنا نجد الأثر الديني المشترك المؤثر في العرب والفرنجة في تحديد أصل اللغة وكيف نشأت والتي كانت تنحصر في توقيفيتها، وعلى الرغم من ذلك إلا أنها تظل هذه قضية (نشأة اللغة) حبيسة في قوقعة الخلافات والافتراضات والآراء دون التوصل إلى معرفة محددة لأصل اللغة.

و الباحث لا تلمس سببا واضحا لقول الدكتور حاتم الضامن [3]، بإلهامية اللغة عند الجاحظ وإيمانه بذلك. إذ لم يشر إلى ذلك إشارة واضحة تزيل شك القارئ ، بل انتقل مباشرة إلى الحديث عن مواضعة اللغة واصطلاحها ، واكتفي بعبارات لا تشير إلى أن الجاحظ يميل إلى إلهامية اللغة.

بينما تلمس إشارة للجاحظ عندما تحدث عن إنطاق النبي عيسى عليه السلام : " وأنطق عيسى في المهد، وأنطق يحيل بالحكمة وهو صبي، وعلم سليمان منطق الطير، وكلام النمل. وعلم الملائكة جميع الألسنة حتى كتبوا بكل خط، ونطقوا بكل لسان.وأنطق ذئب أهبان ابن أوس... فكيف يتعجب الجاهلون من إنطاق إسماعيل بالعربية على غير تعليم الآباء، وتأديب الحواضن"

أي إن الجاحظ لم يصرح بذلك، في نصوصه لا بالإلهام ولا بالاصطلاح ولا أن اللغة محاكاة بوصفه "يشرح لنا مبلغ تأثر الإنسان في النطق بالألفاظ بالبيئة التي تحيط به، غير أن أهم ما يؤخذ عليه أنه يحصر أساس نشأة اللغة في الملاحظة المبنية على الإحساس بما

1–علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص98.

2–المرجع نفسه، ص:98.

3–حاتم الضامن، علم اللغة ص:96.

يحدث في البيئة، ويتجاهل الحاجة الطبيعية الماسة إلى التخاطب والتفاهم والتعبير عما في النفس، تلك الحاجة التي هي من أهم الدوافع إلى نشأة اللغة الإنسانية، فإن الرغبة الذاتية في التعبير والحاجة الماسة إلى التفاهم كلاهما من أهم الدوافع التي يجب أن يعتد بها في نشأة اللغة واضطرار الإنسان الأول للنطق بالألفاظ "[1].

فالمحاكاة هي: محاكاة " لصوت إنساني سمعة الطائر، وهي في هذه الحالة كذلك تصدر بشكل آلي عار عن قصد التعبير بل عن قصد المحاكاة نفسها. وذلك أن هذه الفصائل 2، مزودة بروابط طبيعية تربط جهاز سمعها بجهاز صوتها بطريقة تجعل أعضاء الجهاز الثاني (الجهاز النطقي) تتحرك أحيانا وحدها وتلفظ بشكل آلي الأصوات نفسها التي يحتها الجهاز الأول (الجهاز السمعي) : فكلما وصل صوت إلى سمعها في ظروف خاصة انبعث صداه من أفواهها3، والإنسان تميز بهذه الخصال وأكثر من ذلك فهو إلى جانب امتيازه باللغة الصوتية يمتاز كذلك " بطائفة من المراكز المخية التي تشرف على مختلف مظاهر هذه اللغة (مركز إصدار الألفاظ، مركز حفظ الكلمات المسموعة... وهلم جرا)[4].

إلا أن ذلك يدل على تذبذب الجاحظ في رأيه عن نشأة اللغة. وهذا ما يجعلنا نرجع إلى أول الكلام في أثناء حديثنا عن الاختلافات الواضحة عن نشأة اللغة . وهذا ما كان ملحوظا عنده. فلم نجد رأيا محددة عن نشأة اللغة وأصلها. وكان ملحوظة أيضا عند العرب القدماء والمحدثين.

إن البحث في نشأة اللغة لا يؤدي إلى نتيجة على وفق المنهج اللغوي الحديث؛ لأننا لا نملك دليلا يصل بنا إلى شيء من حقيقة هذا الموضوع ، وكما يقول فندريس "إن حال اللغة حال جميع المخترعات البشرية . وكثيرا ما احتدم الجدل حول معرفة ما إذا كانت اللغة الإنسانية واحدة الأصل أم متعددة وهذه مسألة لا طائل من ورائها 5،مما يجعل معرفة أصل اللغة أمر شائك". وبناء على ذلك فإنه لا يوجد رأي محدد يميل إليه الجاحظ في الحديث عن

1المصدر السابق.ص97-98، وينظر، رمضان عبد التوابّ، الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي،ص14.

2- يقصد بفصائل الحيوان بشكل خاص، بوصفهما يجتمعان في أن كليهما جهاز المع وجهاز النطق

3-علي عبد الواحد وافي، علم اللغة:ص95.

4- المرجع نفسه ص95-96

5-عبد الواحد وافي، علم اللغة،ص82.

نشأة اللغة، فقد أشار إلى ثلاث نظريات من نظريات نشأة اللغة ، فقد كان عرضه عامة لا خاصا يضع فيه نقاط حروف نشأة اللغة دون الوقوع في اختلاف الآراء حول هذه القضية الشائكة.

مفهوم الدلالة وأقسامها:

بداية لا بد من الإشارة إلى أن الجاحظ قد استخدم كلمة (الدلالة) كمفردة تسيطر على مدلولها وفق ما اصطلح عليه المستعملون للغة العربية آنذاك وقبل نضوج علوم كثيرة في اللغة، والفلسفة وغيرهما من العلوم، يضاف إلى ذلك عدم ودقة الكلمة كمصطلح علمي في العصر الحديث، "إن علم الدلالة دراسة لمعنى الكلمات، ولكن بعض الملاحظات والنظريات، وبعض وجهات النظر الحديثة، عادت مجددا تطرح هذه القضية القديمة، وبعض وجهات النظر الحديث،عادت مجددا تطرح هذه القضية القديمة، ولا يزال علم الدلالة يعاني لأن موضوعه لم يحدد تماما، ومصطلحاته لم توضح بدقة، مثله في ذلك كمثل بقية العلوم القديمة، منها جدا أو الحديث جدا، ولهذا السبب يجد المختص نفسه كالرجل العادي تائها أمام الاستعمالات التي يصادفها كل يوم لهذا المصطلح 1"، ومما جاء في معنى الدلالة في الكتب القديمة، أنها كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، الثاني هو المدلول 2، وبذلك فهي كلمة تطلق على مفهوم بأبعاد ثلاثية وهي الدال والمدلول، العلاقة بينهما، هذا الكون الذي هو منا، وما يحيط بنا نظر فيه الجاحظ باعتباره مجموعة من الدلالات التي توصلنا إلى التدبر، والنظر بما أتيح لنا من أدوات البحث والنظر إلى إشتماله على حكمة غائرة وبعيدة بمعنى أن هذه الدلالات، أو الدلالة بمفهومها الواسع هي التي تقع عليها حواسنا من نظر، وسمع ، ولمس، وغيرها من المستقبلات الخمس، وأن الإنسان بما أعطاه، ومنحه الله من قدرات تمكنه حكمته من القدرة على الفعل والتعبير وهو الكائن الوحيد المخول بالتصرف في هذا الكون، ويكون الجاحظ إسلامي الفكر والثقافة والتوجه يدعو الإنسان إلى الوقوف، والاعتبار أمام هذه الدلالات المحيطة به حتى يلامس حكمة الله في خلقه ، ويتذكر قدراته عليه، وعلى هذا يمكن اعتبار أن تكون الدلالة في المظهر الخارجي،

1-بيرجيرو، علم الدلالة، تر منذرعياش، دار طلاس دمشق سوريا 1992،ص15.

2-ينظر: علي بن محمد الجرجاني،التعريفات ،ص 139.

والشكل المادي الذي يسعى الإنسان لإدراكه، ويحاول ملامسته شيئ من الحكمة الإلهية البعيدة الغور، والصعبة المنال، لأن الإنسان قاصر على إدراكها، وهذا الإنسان في هذا الوسط الدلالي له أوجه وطرق دلالية عرضها الجاحظ، وعدّدها بكونهافعلا دلاليا كاللفظ، والخط، والعقد، والإشارة قبل أن تكون أفعالا إنسانية إرادية يستخدمها الإنسان بالدلالة بها عن شيئ ما في نفسه، وهي بهذه الصفة كأدوات ليست من خلق الإنسان مثلها مثل بيان الدليل الذي لا يستدل، كالجبل، والشجر، وغيرها من الأجسام الساكنة الساكتة، لكنها ناطقة من جهة الدلالة، وتشارك الإنسان الحي من هذه الجهة، وبذلك فرق بين الدلالة والبيان.

وقد ذكر الجاحظ هذه الأصناف الدلالية، وهي في حالة سكونها، ووجودها في أنفسها بغية توضيح الحكمة، وأقسامها بكونها قسمة إلاهية، وأن الأشياء الموجودة لها وجود ونصبة وهذا الوجود يحمل في طياته دليلا على ما فيه من صحة الشهادة، وهو الذي جعل العاقل وغير العاقل يستويان من جهة الدلالة، ويختلفان من كون العاقل دليلا يستدل، وغير العاقل دليلا لا يستدل، وبذلك تنقسم الدلالة إلى قسمين طبيعية، ودلالة صناعية.

أ -الدلالة الطبيعية:

تشترك فيها كل الموجودات بتقسيمها الجامد والنامي، فموضوع الجسم ونصبته في طياته دلالة، تتحول بها الأجسام الخرس إلى ناطقة مثلها مثل الإنسان الحي، على أن الذي فيها من التدبير، والحكمة، مخبر لمن استخبره، وناطق لمن استنطقته، كما خبر الهزال وكسوق اللو، عن سود الحال، وكما ينطبق السمن حسن النظرة عن حسن الحال[1] ، ولشيء من التوضيح يعتبر الجاحظ أن الهزال وكسوف اللون (دلالة توصل إلى معنى، أو مفهوم وهو (سو الحال)، كما عرض محاوره بين الإنسان والأرض: "سل الأرض فقل من شق أنهار، وغرس أشجار وجني ثمارك فإن أم تجيك حوارا أجابتك اعتبارا" [2]، الأجسام والأشكال مدركات

1-ينظر البارع، مصدر سابق،ج1 ص46.

2-المصدر نفسه، ج1،ص46.

بصرية جعلها الجاحظ أحد أقسام الحكمة، وما أودع صدور صنوف الحيوانات،وسخر لها حناجرها، وهي مدركات سمعية، وقد جعل الله سبحانه وتعالى هذه الدلالات البصرية،

والسمعية وغيرها مما يدرك بالحواس الأخرى، بإزراعيون الناظرين، وتجاه أسماع المبعثرين، ثم حث على التفكير والاعتبار، وعلى الاتعاظ والازدجار.[1]

ب الدلالة الصناعية:

هي ذلك السبب الذي جعله الله للإنسان المستدل لكي يدل به على الوجوه استدلاله، ووجوه ما توصل إليه الاستدلال من يراه التفكير، والنظر إلى ما جعله الله حوله من مخلوقات بما تحمله من دلالات وحكمة، تجعل المعتبرين يشهدون له بالوحدانية، ويدينون له بالعبودية [2]،وقد كان نظر الجاحظ في الدلالة واسعا جدا، ليشمل الكون في منظوره و متخيله، وجاءت اللغة أو دلالة الكلمة على مدلولها كفعل إرادي إنساني وسط دالات ودلالات إلهية، تلعب فيها الدلالة الإنسانية دور الوسيط بين مجموع هائل من الدلالات الموجودة أمام ناظريه.

وبذلك تكون الكلمة الدالة وسيطا في حقل أوسع وأعم هو الدلالة، فالأجسام والأشكال الحية والساكتة معبرة، وهي لا ناطقة بالحرف ولا مشيرة بيد وإنما بوجودها، ونصيتها في حد ذاته، إذ يشكل الإنسان مع محيطه نسيجا متشابكا من العلاقات، وهذه العلاقات مبنية على نظام دلالي واسع تتجلى لنا من خلال دوال تجعلنا تتفاعل معها، فهذا حيوان مفترس ينبغي الحذر منه، وهذه السحب قد تكون حيلى بالمطر، وهذه السيارة قد تكون مسرعة، وذاك الطفل يبكي علينا مساعدته، وهكذا استشعر معنى الوجود والحياة، لكننا وكما يقول الجاحظ لسنا حدنا الأحياء الذين يمارسون الحياة الطبيعية من تتنفس، وأكل وشرب، حتى الحيوان بأجناسه المختلفة يمارس هذه الرغائب، ولكنه لا يستشعر معنى الوجود الكوني، ولا يعقل غير رغائبه الأولية، أما الإنسان الفصيح الحساس، كما يضعه الجاحظ، فإنه يبدأ بما يقع عليه بصره، ويتنامى إلى سمعه في إدراكه الحيواني الأول، وعليه أن يعبر عن شيئ بشيء أخر.

1ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص48.

2-ينظر: البارع، المصدر السابق، ج1، ص52.

وبهذه الطبيعة الثنائية التي تنطلق من الأشكال لفهم الإنسان والمحيط الإنساني، لعله يستطيع تحس خارطة الوجود من خلال تجاوز التفكير السطحي واليومي ليتوصل إلى مستوى من التجريد، وأن الأشياء قد فرقها الله تعالى في عيون الناس، وميزها في طبائع العباد، فجعل بعضها بهم اقرب شبها، وبعضها أنسيا، وبعضها وحشيا، وأن النار والثلج وإن اختلفا من جهة البرودة والسخونة، فإنهما لم يختلفا من جهة البرهان والدلالة.[1]

1-ينظر: المصدر السابق، ج1،ص:125.

ملخص البحث:

عالج البحث الموسوم ب: الجهود الصوتية والدلالية عند الجاحظ من خلال كتاب البيان والتبيين. استنطاق مدونة حواها الجزء الأول من كتاب البيان والتبيين: الجهود الصوتية عند الجاحظ، مع ذكر مصطلحات عيوب النطق التي وردت عنده.

تركز هذا الاستنطاق على دراسة إحدى التنوعات اللغوية المعيبة للبيان ونقصد بها، اصطلحنا عليه بعيوب النطق:

يحوي البحث أهمية قصوى لها، لأننا نهدف من وراءها إلى الربط عينة من موروث عربي جاحظي بما جادت به دراسات المحدثين.

اعتمدت الدراسة على مدخل وفصليين، عالجنا في المدخل:

تحديد المصطلحات ثم الإطار الفكري لظهور اللسانيات العربية.

وأخيرا تمظهرات الجهود اللغة العربية.

أما الفصل الأول والذي كان بعنوان الجهود الصوتية عند الجاحظ من خلال كتاب البيان والتبيين. والذي حوى على عدة مباحث أهمها: عيوب النطق والكلام ومصطلحات عيوب النطق التي وردت عنده (اللثغة وأسباب حدوثها والحروف التي تدخلها اللثغة)، تهدف الدراسة من خلال هذا الفصل إلى تقييم أراء الجاحظ تقييما موضوعيا.

أما الفصل الثاني ذي عنوان: قضايا علم الدلالة عند الجاحظ تضمن عدة مباحث أهمها: قضايا علم الدلالة عند الجاحظ من خلال كتاب البيان والتبيين، والدلالة السياقية واختيار المقام والمكان ...

مراعاة لطبيعة فصول البحث، استعنا بالمنهج التاريخي في الفصل الأول، وبالمنهج الوصفي التحليلي أثناء تحرير الفصل الثاني.

انتهت الدراسة إلى جملة من النتائج يمكن حصرها في:

- درس الجاحظ مخارج وحسن التأليف بين حروف
- وأيضا تناول عيوب النطق والكلام والأصوات التي تلحقها العيوب

- قام الجاحظ بدراسة بعض من العيوب النطق(اللثغة واللكنة) وفق معيار اجتماعي أساسه الخاصة من الناس وعامتهم
- تناولنا أهم القضايا الدلالية التي حواها في كتابه
- وأيضا قمنا بدراسة اللفظ والمعنى

Research Summary:

He treated the research tagged with: the phonetic and semantic efforts of Al-Jahiz through the book Al-Bayan and Al-Tabeen. Interrogation of a blog containing the first part of the book Al-Bayan wa Al-Tabeen: The vocal efforts of Al-Jahiz, with a mention of the terms of speech defects that came to him.

This interrogation focused on studying one of the linguistic variations defective of the statement, and we mean by it, we termed it with pronunciation defects:

The research is of paramount importance to it, because we aim behind it to link a sample of the Arab heritage of Jahizi with what the studies of the modernists have shown.

The study relied on an introduction and two chapters. In the introduction, we dealt with:

Defining the terminology and then the intellectual framework for the emergence of Arabic linguistics.

Finally, the efforts are manifested in the Arabic language.

As for the first chapter, which was titled The Voice Efforts of Al-Jahiz through the book Al-Bayan wa Al-Tabeen. Which contained several topics, the most important of which are: speech and speech defects and the terminology of speech defects that came to him (the lisp and the reasons for its occurrence and the letters that the lisp enters), the study aims through this chapter to objectively evaluate the opinions of Al-Jahiz.

As for the second chapter, titled: Issues of Semantics for Al-Jahiz, it includes several topics, the most important of which are: Semantics issues for Al-Jahiz through the book of Al-Bayan wa Al-Tabeen, contextual semantics and choosing the place and place...

Taking into account the nature of the research chapters, we used the historical method in the first chapter, and the descriptive analytical method during the editing of the second chapter.

The study ended with a number of results that can be summarized in:

Al-Jahiz studied the exits and good composition between letters

- And also address the defects of pronunciation and speech and the sounds that are caused by the defects

Al-Jahiz studied some of the pronunciation defects (lisp and accent) according to a social standard based on the special people and their common people.

We dealt with the most important semantic issues that he contained in his book

- We also studied the pronunciation and meaning.

خاتمة

خاتمة:

- ✓ يخضع الجاحظ مسائله للنقد، ويجعل الشك طريقا لليقين، ولا يروي غليله إلى الحقيقة سوى العيان الشاهد والخبر الصادق
- ✓ ما البيان إلا ثمرة من ثمار جهوده المبذولة في مجال الدراسات الأدبية اللغوية، حيث خصه الجاحظ بفائق العناية لما له دور فعال في إيصال المعنى بتعبير جميل وأداء متميز، فمدار البيان على تحقيق غاية الفهم والإفهام بواسطة دلالات لسانية كالخط، الإشارة واللفظ، أو غير لسانية كالعقد والنصبة
- ✓ كانت دراسة الجاحظ للبيان، متشعبة ساقته إلى ترصد جملة من اللغويات المعيبة، شكل عيوب النطق إحداها
- ✓ كما أنه تحدث في مرحلة انتقال الصوت من فم المتكلم إلى أذن السامع
- ✓ الدراسات الصوتية تميل إلى ركود البحث في الأصوات على مستوى شامل واسع، وجمع فيه المستويات كلها

- ✓ –إتسمت مصنفات الجاحظ بالعرض الدقيق الموضوعي القائم على المنهج العلمي التحليلي
- ✓ –للجاحظ آراء لسانية في شتى المجالات الأدبية واللغوية ،تلمسها في مصنفاته نظرا إلى عدم وجود دراسات كافية للخروج بنتيجة إيجابية
- ✓ –يمتلك الجاحظ جملة من الآراء اللسانية التي إقتربت منها وجهات النظر اللسانية الحديثة ،وهذا ناتج عن وجود مادة لغويةغريزة في كتابات الجاحظ (كتاب البيان والتبيين)

ملحق:

الجاحظ وكتابه البيان والتبيين:

1- التعريف بالجاحظ:

1-1 - اسمه ونسبه:على الرغم مما بلغه الجاحظ من مكانة وشهرة اجتماعية، وفكرية وأدبية، فقد ظلت

بعض معالم حياته وأصله مثار نقاش بين الباحثين، فقد اختلف المؤرخون وتباينت آراؤهم حول نسبه وأصله."هو أبو عثمان بن بحر بن محبوب الكناني الليثي المعروف بالجاحظ البصري العالم المشهور (...)، وإنما قيل الجاحظ لأن عينيه كانتا جاحظتين، والجحوظ النتو، وكان يقال له أيضا الحدقي لذلك "[1]، فكان "الجاحظ" اللقب الذي التصق به وطارت به شهرته، أما ولادته فلم تعرف بالضبط، بل اختلفت من باحث لآخر، حيث جاء في معجم الأدباء لياقوت الحموي أن الجاحظ قال: "أنا أست من أبي نواس بسنة، ولدت في أول خمسين ومائة وولد في آخرها " [2]. ومنهم من وافق القول السابق ومنهم من ذهب خلاف ذلك فنجدهم يجعلون تاريخ ولادته "سنة 155هـ، وجعلها بعضهم سنة 159هـ، ولكن جل الباحثين قالوا: إن تاريخ ميلاده الصحيح عام 160هـ "[3]، كانت هذه مختلف الآراء التي تطرقت إلى تاريخ مولد الجاحظ، وكما اختلفت أقوال الباحثين في تاريخ الولادة، كذلك تباينت آراؤهم في تحديد أصله الذي ينحدر منه فمنهم من ذهب إلى أنه عربي صرف من بني كنانة عربي الأصل ولذلك نعت الجاحظ الكناني بينما ذهب آخرون إلى أنه أعجمي الأصل أو منحدر من النج"[4].

1-2-ثقافته وشيوخه:

1- خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج3، تح: (د) إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ص 470 471.

2 -ابن ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج16، تح: د إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993، ص 74.

3- المرجع نفسه، ص 74.

4- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء- الزمان، ج 3، ص470-.471

يعد الجاحظ علامة عصره، فلم يترك مجالا إلا وكتب فيه، حيث أنه لم يكن أديبا فقط، بل كان ناقدا وشاعرا وفيلسوفا وإماما، جعله شغفه الكبير بالقراءة والمطالعة يملك ثقافة واسعة وفكرا شاسعا،فوقوفنا على الكم الهائل من مؤلفاته وإنتاجاته يفسر طموحه وإراداته اللتان لم تمنعها منغصات كثيرة صادفته في طفولته حيث كانت رؤيته لنفسه وشكله ومقارنته بالآخرين تبعث فيه شعورا بالنقص وهذا مايؤثر في مستقبله.فالجاحظ بالرغم من الصعوبات التي واجهته إلا أنه لم يقلل من جهوده ومثابرته إلى أن وصل إلى غايته وهدفه المنشود كبقية العلماء التي لم تعجزهم العراقيل والصعوبات. ولا ريب في أن البصرة التي كانت حاضرة الفكر والمعرفة ومركزا أدبيا ممتازا، فتحت عيني الجاحظ على صنوف العلم والأدب والدين فنهل منها أكبر قدر المستطاع"[1] وعليه فمن العوامل التي ساعدت الجاحظ في اكتساب ذلك الكم الهائل من الثقافة المكان الذي نشأ فيه والذي كان مركزا ثقافيا ينهل منه صنوف العلم، وما زاد ثقافته وشساعة علمه أيضا أنه كان كثير الإقبال على المساجد ومنازل العلماء، وكذلك سوق المربد الشهيرة التي كان يستأجرها ليلا لتمضية وقته في المطالعة والبحث[2]، وبهذا تكونت لدى الجاحظ ثقافة هائلة ومعارف واسعة، ويورد ياقوت الحموي قوة لأبي هقان قال: "لم أر قط ولا سمعت من أحب الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ، فإنه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفي قراءته، كائنا ما كان حتى إنه كان يكتري

دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر (...) وإسماعيل بن إسحاق القاضي، فإني ما دخلت إليه إلا رأيته ينظر في كتاب، أو يقلب كتبا أو ينفضها"[3]

على هذا يعتبر الجاحظ موسوعة للعلم نظرا لاطلاعه على الكثير من الكتب سواء فيما يخص الأدب أو الفنون الأخرى، ويظهر ذلك من خلال اعتراف معظم دراسي عصره بفضله على نشأة علم البلاغة خاصة، ونبوغه في كثير من العلوم إضافة إلى المطالعة المستمرة هناك عوامل أخرى مهمة والتي لعبت دورا فعالا في تحصيل الجاحظ ونبوغه تمثلت في شيوخه، فقد

1- فوزي عطوي، الجاحظ دائرة معارف عصره، دار الفكر العربي، بيروت، ط2، 1998م، ص 12.

2- ينظر: محمد علي زكي صباغ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1998، ص 28.

3- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج16، ص75. ينظر: فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ، ص 13.

تتلمذ الجاحظ على جملة من أساتذة عصره، والذين تنوعت ثقافاتهم، وتعددت مشاربهم، فكان لهم الأثر الواضح الجلي على ثقافته وتكوينه العلمي، ومن أبرز شيوخه أبو عبيدة، والأصمعي، وأبو زيد الذين أخذ عنهم اللغة وسمع منهم مناحي العرب وأساليبهم في القول، وأبو الحسن الأخفش الذي أخذ عنه النحو، والنظام الذي أخذ عنه علم الكلام إضافة إلى معمر بن المثنى الذي قال عنه الجاحظ: ولم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أبصر بجميع العلوم منه، كما حدث عن ثمامة بن أشرس النميري المتكلم، ويزيد بن هارون والسرى بن عبد ربه والقاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم، والحجاج بن محمد بن حماد بن سلمه" [1]،هؤلاء هم شيوخ الجاحظ الذي تلقى عنهم أصول اللغة، وصناعة الأدب، وعلم الكلام وتربى على موائدهم التي تزاحمت عليها صنوف العلم وفنونه وتنوعت تنوعا نلمس آثاره في نبوغه وسعة علمه وأدبه وكما رأينا سابقا في قول الجاحظ فهو لم ينكر فضلهم عليه بل اعترف به ومجده، وعليه فلشيوخ الجاحظ الفضل الكبير، والأثر الواضح على ثقافته وسعة علمه التي اعترف بها الكثير ممن جاؤوا بعده.

1-3-وفاته وأهم مؤلفاته:

أمضى الجاحظ معظم أيام حياته منكبا على طلب العلم وال نهل من مشاربه التي تنوعت وتوفرت في بلده البصرة باعتبارها مكانا ثقافيا توفرت فيه العوامل المساعدة على التعلم والتثقف، " فقد انتقل الجاحظ في سبيل العلم من بغداد إلى البصرة إلى أن أدركته الشيخوخة، وأصيب بالفالج، ولما اشتدت عليه استقر بالبصرة – مسقط رأسه – فأقام بها البقية الباقية من عمره، إلا أنه لم يعف نفسه من الكتابة والتأليف، فأخذ ينتج ويبدع، ثم زادت عليه العلة فأصيب بالنقرص أيضا" [2]. فهنا نلمس روح التحدي والإرادة التي تميز الجاحظ بها فرغم المرض الشديد الذي حل به إلا أنه لم ينقطع عن الكتابة والتأليف فأخذ يبدع وينتج. كما ذكر السيد عبد ربه كيف صور والحالة التي وصل إليها الجاحظ في قوله: ادخلت على الجاحظ في أخر أيامه وهو عليل، فقلت له: كيف حالك؟ فقال: كيف يكون من نصفه مفلوج، لو شر بالمناشير ما حس به، ونصفه الآخر منقرس لو طار الذباب بقربه لألمه، والآفة في جميع هذا

1- ينظر: فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ، ص13.

2- فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ، ص 32.

أني قد جزت التسعين " [1]، كان هذا تصوير وأوصاف لحالة الجاحظ قبل وفاته جسد لنا المعانات التي حلت به في آخر أيام حياته التي قضاها في العلم والعمل.

وكما رأينا سابقا أن هناك شك أو اختلاف في تاريخ ولادة الجاحظ، إلا أن تاريخ وفاته متفق عليه حيث نجد ابن خلكان يرجع وفاته في المحرم سنة خمسة وخمسين ومائتين بالبصرة وقد ينيف على تسعين سنة"[2]، واتفق معه ياقوت الحموي في معجم الأدباء: "اما وفاته فلا شك فيها أنها سنة 255هـ/ 896م "[3].

تصفح مؤلفاته وتتبع مسار حياته، كل هذه الصفات أكسبته مكانة جليلة لا يمكن لأحد إنكارها أو التقليل من شأنها، فالجاحظ مثل الحضارة العربية الإسلامية أرقى تمثيل وأحسنه.

وبه تعلق الجاحظ بالعلم كثيرا، أبحر فيه ونهل منه، ألف كتبا جسد لنا من خلالها شخصيته وأسلوبه وعكس فيها ثقافته واجتهاده الذي رافقه طوال حياته، وكأي عالم من العلماء تميز بكثرة مؤلفاته وتعدي مشاربها فلم يترك فئا إلآ وكتب فيه.

ذكر ياقوت الحموي في معجمه مؤلفات الجاحظ مصرا: "وهذا فهرست كتب الجاحظ:
كتاب

الحيوان وهو سبعة أجزاء وأضاف إليه كتابا آخر سماه كتاب النساء وهو الفرق بين الذكر والأنثى، وكتابا آخر سماه كتاب الفعل، وقد أضيف إليه كتاب سموه كتاب الإبل ليس من كلام الجاحظ ولا يقاربه، وكتاب الحيوان، وكتاب البيان والتبيين، كتاب الزرع، والتخل، كتاب مسائل القرآن، كتاب فضيلة المعتزلة، كتاب الإمامة على مذهب الشيعة، كتاب العثمانية، كتاب صياغة الكلام، كتاب الرد على اليهود، كتاب أحدوثة

العالم، كتاب التربيع والتدوير، كتاب رسالته في العفو والصفح، كتاب رسالته في الحيلة، كتاب رسالته فيمدح الكتاب، كتاب رسالته في الأمل والمأمول، كتاب رسالته في ذم الكتاب، كتاب رسالته في العلم،كتاب رسالته في فضل اتحاد الكتاب " [4] كما أن للجاحظ عددا كبيرا من

1- المرجع نفسه، ص 32.

2- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ص 470، 471.

3- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج16، ص 74.

4-) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج16، ص 106.

الكتب الصغيرة التي يسميها الرسائل في مواضيع مختلفة، ولعل أهمها: "رسالة الحاسد والمحسود، رسالة العشق والنساء، رسالة الوكلاء، رسالة في القيان، رسالة مدح التجار وذم عمل السلطان، رسالة تفضيل النطق على الصمت..."[1]

كانت هذه بعض مؤلفات الجاحظ التي تشعبت فنونها وتنوعت مشاربها لتشكل مصدرا هاما ينهل منه الباحثون من بعده.

2-كتاب البيان والتبيين:

2-1 – التعريف بالبيان والتبيين:

عرف الجاحظ بوفرة مؤلفاته وتنوعها، ومن بين هذه الكتب كتاب البيان والتبيين الذي يعد من أهم الكتب وأحسنها وهو في نظر النقاد إمام كتب الجاحظ وأهمها بغير منازع، ولهذا فقد لقي عناية خاصة من الباحثين والناشرين فصدر الآن فيما يزيد عن عشر طبعات مختلفة التحقيق أولها التي أخرجتها المطبعة العلمية بالقاهرة عام 1893م، ثم عني الباحثون بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه، أمثال جميل جبر بيروت سنة 1959م في مجلد واحد، وفوزي عطوي في ثلاث مجلدات عن دار صعب بيروت عام 1968م وهارون في أربعة أجزاء بمجلدات عن لجنة التأليف والترجمة عام 1949م، ودار الجيل 1980م، هذا إلى جانب طبعات أخرى كثيرة مغلفة من المحقق مثل طبعة دار الفكر للجميع في ثلاثة مجلدات، عام 1968 وغيرها"[2] فكثرة هذه الطبعات والتحقيقات تدل دليلا واضحا على مدى أهمية هذا الكتاب وقيمته العلمية وكذلك شهرته بين أوساط الباحثين.فلقد استفرغ الجاحظ في كتابه البيان والتبيين بياض مهاراته وسواد لياليه حتى جاء مرآة صادقة تعكس ثقافته الواسعة المحيطة بألوان العلم والأدب والفلسفة جميعا، ولاسيما في النقد الأدبي الذي يعتبر من رواسي أصول الكتابة المتقنة، نثرا وشعرا "وعلى اعتبار البيان والتبيين آخر مؤلفات الجاحظ ندرك ماله من قيمة نوعية مميزة عن سائر

1-. فوزي عطوي، الجاحظ دائرة معارف عصره، ص 43.

2- عترت السيد أحمد، فلسفة الأخلاق عند الجاحظ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2005م، ص 30.

مؤلفاته الأخرى، فهو حصاد عمر طويل، قضاه في البحث والتصنيف، وهو ثمرة اجتهاد وسعى كبيرين، وحصيلة تجارب فكرية وثقافية خاضها الجاحظ في حياته.[1]

2-2-أجزاؤه:

يهتم الجاحظ بالخطابة والبيان، ولهذا فهو يخص الحصر والعي وألوان الدلالات بحديث يزينه بأية قرآنية كريمة حينا، وحينا آخر بحديث نبوي شريف أو بيت شعري مناسب.

بعد فاتحته، يذكر الجاحظ ما جاء في تقليب واصل بن عطاء بالغزل، ثم الحروف التي تدخلهااللثغة، ويردف ذلك بباب للبيان، وبباب أخر يذكر فيه البلغاء والخطباء والأنبياء والفقهاء والأمراء، بعد ذلك يوضح معنى البلاغة، ويثبت ما جاء من مديح للسان بالشعر المنظوم واللفظ المنثور، ثم يتحدث عن الصمت وملتقطات كلام النساك، وحسن البيان، والشعر الذي يدخل في باب الخطب وما قيل في الخطب واللسن من امتداح ومديح ويتحدث كذلك عن إعابة العي والحمق من المعلمين، والتشادق والإغراق في القول، ويثبت بابا من الخطب القصار، وما قالوا في الحديث الحسن الموجز، والإسجاع في الكلام، ويتكلم عن خطباء البصرة، ويثبت خطبة من خطب النبي صلى الله عليه وسلم، ويورد أسماء الخطباء والبلغاء وأنسابهم وأسماء الكتمان والحكام والخطباء والعلماء من قحطان، ويذكر التساك والرهاد من أهل البيان، والقصاص وما قيل في المخاطر والعصي وينهي الجاحظ هذا الجزء بعنوان « أثر الستيف يمحو الكلام».

- ✓ **مضمون الجزء الثاني:**

تضمن أبوابا في الخطب والكتب والرسائل والوصايا العشر وغير ذلك من الأغراض.

- ✓ **مضمون الجزء الثالث:**

يستهل الجاحظ هذا الجزء بكتاب العصا، بعدئذ يذكر العيوب التي تمنع من السؤود، كما يبين أن قريشا أفصح العرب، ويورد مقطعات من نوادر العرب وأشعارهم وما قيل في الخمر، كما تطرق إلى سياسة بني عباس وأدبهم، ووصف المأمون لصنوف العلم ومن ثم ينتقل إلى الكلام على آداب الملوك وتأويل الحديث، وتفضيل الشعر، وخطبة شداد بن أوس، كما تكلم

1- فوزي عطوي، الجاحظ دائرة معارف عصره، ص 61.

عن مقامات الشعر في الجاهلية والإسلام وكتاب من عبد الملك إلى عمرو بن سعيد الأشدق ورد عمرو عليه، وغيرها من الموضوعات التي لا ترابط بينها ولا تسلسل إنما تناسق في أسلوب استطرادي فوضوي ولكنه لا يخلو من الجدة والفائدة الأدبية العلمية المنشودة.

2-3-مكانة كتاب البيان والتبيين وأثره:

يعد كتاب البيان والتبيين واحدا من أبرز كتب اللغة العربية في طور نشأتها إن لم يكن أعظمها وأكثرها فائدة وتأثيرا، نظرا لأثره الواضح في مؤلفات البلاغيين حيث يقول فيه الجاحظ: «لعل من نافلة الكلام أن أردد القول في عظيم أثر هذا الكتاب ويمكنني أن أقول في ثقة: إنه ليس يوجد أديب نابه في العربية لم يسمع بهذا الكتاب أو لم يفد منه، وقلما نجد أدبيا من المحدثين لم يتمرس بما فيه من أدب، كما كان من هذا الكتاب مادة غزيرة استمدها كبار المؤلفين القدماء في مؤلفاتهم كابن قتيبة في عيون الأخبار والمبرد في الكامل (...) وعبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، وأسامة بن منقذ في الباب الآداب» [1]. فالجاحظ في قوله هو على ثقة من فائدة كتابه وعظيم شأنه بين بقية المؤلفات قبل وبعده، كما ذكر بعض المؤلفات التي استمدت مادتها من مؤلفه الشهير.

كما لم يغفل المؤلفون عن التنديد بمكانة هذا الكتاب وقيمته المرموقة، فهاهو أبو هلال العسكري يقول: «كان أكبرها وأشهرها كتاب البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن الجاحظ، وهو لعمري كثير الفوائد، جم المنافع لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة، والفقر اللطيفة، والخطب الرائعة والأخبار البارعة، وما حواه من أسماء الخطباء والبلغاء، وما نبه عليه من مقاديرهم في البلاغة والخطابة وغير ذك فنونه المختارة ولغته المستحسنة» [2] وفضلا عن كل هذا يتبين أن هذا الكتاب مصنف في علم البلاغة ومصدر هام من مصادر التاريخ الأدبي العربي نظرا لما تضمنه من أخبار الشعراء والكتاب العرب حيث أنه لم يقتصر على فن محدد بل تفرعت فنونه وتنوعت وتشعبت، « فكتاب البيان والتبيين يعد من أهم ما ألف في هذا الطور من تاريخ البلاغة من كتب تتصل ببلاغات العرب شعرا ونثرا، وتتعرض لتحديد البلاغة والبيان وما حولها من آراء ذائعة في عصر الجاحظ، فقد حوى كثيرا من بحوث البيان وأصوله، كما

1- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص14-15.

2- المصدر نفسه، ص15.

يعتبر الأساس الأول لنشأة هذا العلم وتميزه واستقلاله » [1]، وعليه يعتبر كتاب البيان والتبيين أصلا ومصدرا هاما نهلت منه مختلف المؤلفات بعده، فعند الإطلاع على الكتب التي جاءت بعد الجاحظ يظهر فيها التأثير الواضح بما ينثره في الكتاب من مقاييس بلاغية، وذلك من خلال الاستفادة من علمه والنسج على منواله.

3 كتاب البيان والتبيين:

للجاحظ لمصطلح البلاغة قبله، « كقول المقع: لا خير في كلام لا يدل على معناك، ولا يشير إلى مغزاك»[2]، وقول بشر بن المعتمر– وهو أحد بلغاء المعتزلة « والمعنى ليس يشرف أن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس ينضح بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز عندهم كانت لا تخرج عن إصابة المعني بوضوح وسلامة بلفظ يناسب المعنى الذي يرمي إليه، مع إحتواز الفائدة من ورائه، بالإضافة إلى موافقة الحال التي يقال فيها.فالبلاغة في نظر البلغاء ليست مستقلة عن اللغة وإنما تلعب دورا مهما في تحديد وظيفة اللغة التي تتمثل في التعبير والإبلاغ، وهذا يدل على أن البلاغ جزء لا يتجزأ من اللغة، لأن كلاهما يعتمدان على اللفظ والمعنى. " كانت البلاغة تعني أولا الوصول والانتهاء، وثانيا الفصاحة وحسن القول، وقد جاءت في القرآن الكريم بهذين المعنيين، فمن الأول قوله تعالى: (ولما بلغ أشهره القصص) –14–[3]، هذا هو الوصول والانتهاء، أما المعنى الثاني فقوله تعالى: "و أعرض عنهم وعظهم وقل لهم في وأنفسهم قولا بليغا"[4]

1– أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2008م، ص10.
–ينظر: السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ، ص 269.

2– ينظر: السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ، ص269.

3–سورة القصص، الآية 14.

4– سورة النساء، الآية 63.

القرآن الكريـــم

قائمة المصادر والمراجع بالعربية:

1 إبراهيم أنيس "دلالة الألفاظ"، ط2، المكتبة المصرية، 1963م.

2 إبراهيم صبح مأمون جرار:" المدخل إلى دراسة اللغة العربية"، ط 2، دار حامد، عمان، الأردن،2005م.

3 إبراهيم،منشورات المكتبة العصرية، بيروت،دط،ج1،سنة 1986م.

4 إبن الأثير، المثل السائد في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي، ج 6/1، دار النهضة ، مصر، القاهرة، دط.

5 إبن جني:"الخصائص" تحقيق: محمد علي نجار، ج1، المكتبة العلمية.

6 إبن جني، سر صناعة الإعراب، تح: حسن هناوي،ط1،ج1، دار دمشق 1986.

7 ابن خلدون: المقدمة، ج1، ط4، بيروت، دار الكتب العلمية، 1978.

8 إبن رشيق القيرواني: سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، ط1، 1982، بيروت.

9 – ابن قتيبة، أدب الكاتب، تح: علي فاعون، المكتبة العربية السعودية، ط 1– 2014

10 – ابن منظور: لسان العرب، ط4، لبنان، 2005، ص 4050، 4051.

11 – بو بكر محمد بن داود، الأصبهاني، الزهرة، تح إبراهيم السامراني، ج 1، ط2، الأردن، 1985.

12 – أبو عبد الله بدر الدين، ابن النظام، شرح ابن الناظم على ألفية بن مالك، تج، محمد باسل عيون السود، ط1،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

13 – أبو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر،تح: علي محمد البجاوي محمد أبو الفضل، ط1، 2008م.

14 – أبي محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، تعليق عبد المقال الصعيدي، مكتبة الأزهر، مصر، دط،.

15 – أحمد بن محمد بن أحمد،الحملاوي،"شذا العرف في فن الصرف"،شرح عبد الحميد هنداوي ط1 دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1998م.

16 – أحمد علي وهمان، الصورة البلاغية، دار طلاب ،دمشق،سوريا،ج1/1986م.

17 - أحمد مختار عمر : البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثيروالتأثر،ط9،القاهرة-2010- .

18 - أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة العلمي العراقي، بغداد،(دط) الجزء1987،3م.

19 - أحمد مطلوب، البحث البلاغي عند العرب، دار الحرية للطباعة، بغداد، دط.

20 - أحمد مطلوب، البلاغة عند السكاكي، دار النهضة،بغداد،ط1، 1384هـ.

21 - الأعلم الشمرتري، النكت في التفسير الكتاب سيبويه،تح : رشيد بلحبيب، وزارة الأوقاف، المغرب.

22 - الباقلاني، إعجاز القرآن ، تح: السيد صقر، دار المعارف، بمصر، ط3.

23 - الجاحظ ، البيان والتبيين، ج 1، فلسفة الجد والهزل ،دار الشؤون الثقافية العامة، أفاق عربية،2001م.

24 - الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت.

25 - الخطيب القزويني: الأيضاح في علوم البلاغة، شر: د محمد ع المنعم حقاجي، ج 1، دار الكتل اللبنانية، ط5، 1403هـ.

26 - السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها،ج1،بيروت، جانفي ،1998، ص55.

27 - الفراهيدي، العين، تر: عبد الحميد الهنادوي، ط1، مج1، دار الكتب العلمية، بيروت.

28 - الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البيجاوي، ط1، 1984م

29 - البغدادي أحمد بن علي بن ثابت، الذكر التبريزي عند الخطيب، تح: سالك أحمد معلوم، مكتبة لينة للنشر والتوزيع، ط1، 1993.

30 - بيرجيرو، علم الدلالة، تر منذرعياش، دار طلاس دمشق سوريا 1992م.

31 - تمام حسان: " اللغة العربية معناها ومبناها"، ط3، عالم الكتب ، القاهرة 1998م.

32 - جاسم: اللغة التطبيقي في التراث العربي الجاحظ أنموذجا،دراسات العلو م الإنسانية والاجتماعية، المجلد 40.ع 2،سنة 2013م .

33 - حاتم صالح الضامن، علم اللغة،بيت الحكمة، كلية الآداب، جامعة بغداد، دط، دت.

34 - حجاج كلود،إنسان الكلام: مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية، ترجمة رضوان ظاظا، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2003.

35 - حلمي خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة، دار المعرفة الجامعية، مصر،2003.

36 - خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ج3، تح: د إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

37 - د محمد رفعت أحمد زنجبير، عيوب الكلام في تراث العرب جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا، كلية التربية والعلوم الأساسية، مقر أبوظبي، 24-نيسان، 2002م.

38 - راغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح وضبط: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

39 - رمضان عبد التواب، مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي،ط 3، مكتبة الخانجي، القاهرة،1997م.

40 - رولان بارت ، هسهسة اللغة، ترجمة منذر عياشي، ط 1، مركز الإنماء الحضاري، حلب، 1999.

41 - سيبويه، الكتاب،ج1،ط3،مكتبة الخانجي بالقاهرة 1988.

42 - شهرة زاد بن يونس، محاضرات في علم اللهجات، جامعة منتوري، قسنطينة،.

43 - شوقي ضيف،البلاغة تطور وتاريخ،ط7، دار المعارف،دط، دت.

44 - صلاح الدين صلاح حسنين: الدلالة والنحو، ط1، مكتبة الأدب.

45 - صورية جغبوب، قضايا اللسانيات العربية الحديثة بين الأصالة والمعاصرة من خلال كتابات أحمد مختار عمر،رسالة دكتوراه، سطيف 2011-2012-.

46 - عبد الحق الكتاني، معجم اللغة العربية، دط، سنة 2012-2013.

47 - عصام نور الدين، محاضرات في فقه اللغة،دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،ط 1، 2002م.

48 - علي محمود النابي "الكامل في النحو والصرف"، ط 1، دار الفكر العربي مصر،القاهرة- ،2004م.

49 - عترت السيد أحمد، فلسفة الأخلاق عند الجاحظ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط2005م.

50 - فارس محمد عيسى: "علم الصرف" ط1،دار الفكر، عمان، الأردن،2000م.

51 - فاطمة بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث،القاهرة،ط1، 2004م.

52 - فاطمة محمد محجوب،دراسات في علم اللغة ، دار النهضة العربية،القاهرة،دط،دت.

53 - فوزي عطوي، الجاحظ دائرة معارف عصره، دار الفكر العربي، بيروت، ط 2، 1998م.

54 - قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح: كمال مصطفى، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة.

55 - كمال بشر:علم اللغة العالم، الأصوات العربية مكتبة الشباب،مصر، د ط ،د ت.

56 - ماريوباي: "أسس علم اللغة"، تر: أحمد مختار عمر، ط2، عالم الكتب،1998م.

57 - محمد أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تح: عباس ع السائد نعيم زرنوم، ط 2، دار الكتب العلمية، 2005.

58 - محمد العمري: البلاغة بين التأصيل والتداول، إفريقيا الشرق، المغرب،د،ط، 2005.

59 - محمد عبد الزهرة البحث اللغوي عند الجاحظ ، جامعة بغداد، 1996.

60 - محمد علي زكي صباغ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين، المكتبة العصرية، بيروت.

61 - محمد محي الدين عبد الحميد، أدب الكاتب، دار المطبوعات العربية، بيروت، دت.

62 - مشال عاصي، مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط1، 2018.

63 - مصطفى غلفان:اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، حفريات النشأة والتكوين ،ط1،الدار البيضاء،2006م.

64 - منير السلطان، بلاغة الكلمة والجملة، مطبعة المعارف،ط3.،1991، مصر.

65 - نور الهدى لوشن، "مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي"، المكتب الجامعي الحديث،الأزاريطيه، الإسكندرية 2002م.

66 - وليد محمد مراد، نظرية النظم،ط1، دمشق 1983.

قائمة المصادر والمراجع الأجنبية:

1- mehrabian, albert, Nomverfal communication, 2hd printing united state of america ,1977.

-2-Druckman, Daniel,Nonverbal communication.

3-Elément de sémantique, joh lyons,traduction.J,Durand la rousse unuvessité (s.d).

4-Amfody, Nalini and rosenthal, robert, Nonverbal comunication, encyclopedia of Mental Heath, vilume 2, academic press,1998 .

5- Druchm, Daniel, nonverbak communication : survey, theiry and Research, 1st priniting, sage library of social research califor,ia, 1982

6- André martinet, éléments de linguistique générale.

الفهرس

مقدمة: .....أ.....

مدخل: تحديد المصطلحات: .....1.....

1 -تعريف الجهود: .....1.....

2-تعريف اللغة: .....1.....

3-تعريف علم اللغة: Linguistique .....2.....

- الإطار الفكري لظهور اللسانيات العربية .....3.....

اللسانيات العربية: تحديد أولي: .....4.....

تمظهرات الجهود اللغوية العربية .....5.....

مستويات التحليل اللغوي الحديث .....5.....

المستوى
الصوتي:..... 6

المستوى الصرفي: .....6.....

المستوى التركيبي أو النحوي: .....10.....

المستوى الدلالي: .....11.....

الفصل الأول: الجهود الصوتية عند الجاحظ من خلال كتابه:البيان والتبيين: .....10.....

أولا: تعريف الجاحظ للصوت والحرف: .....11.....

ثانيا: مخارج وصفات الأصوات عند الجاحظ: (سلامة الأصوات واستقامتها تأتي من سلامة
مخارجها واستقامتها: .....12.....

تعريف اللسان: .....15.....

أهمية الأسنان في النطق: .....15.....
ثالثا: حسن التأليف بين الحروف(التآلف-التشكيل الصوتي): .17.....
رابعا: عيوب النطق والكلام: .....20.....
تمهيد: .....20.....
مفهوم البيان: .....21.....
أ-دلالات لفظية 22
ب-دلالات غير لفظية: .....22.....
اللفظ: .....23.....
اقتران الحروف: .....23.....
خامسا: مراتب عيوب النطق والكلام: .....24.....
عيوب الألفاظ .....24.....
عيوب التراكيب .....27.....
عيوب المعاني والأساليب .....35.....
مصطلحات عيوب النطق التي وردت عند الجاحظ:(اللثغة وأسباب حدوثها والحدوث التي تدخلها اللثغة): .....46.....
أولا:دراسة بعض عيوب النطق: .....46.....
اللثغة .....46.....
تعريف اللكنة: .....48.....
أنواع اللكنات: .....49.....
اللكنة النبطية .....51.....

سادسا: الأصوات اللغوية عند الجاحظ: .....54.....
1- قضايا علم الدلالة عند الجاحظ .....42.....
2- الصور اللفظية والصور غير اللفظية .....44.....
3- الدلالة السياقية عند الجاحظ و اختيار المكان .....49.....
4- جدلية اللفظ والمعنى داخل السياق .....52.....
أ-عند السكاكي: .....52.....
ب- عند الجرجاني: .....54.....
5- الجدل حول نشأة اللغة .....59.....
مفهوم الدلالة وأقسامها: .....65.....
وظائف الكلام من خلال كتاب البيان والتبيين.....57
أ- الدلالة الطبيعية: .....66.....
ب- الدلالة الصناعية .....67.....
ملخص البحث: .....60.....
Research Summary..... 61
خاتمة: .....65.....
ملحق: .....67.....
الجاحظ وكتابه البيان والتبيين: .....67.....
1- التعريف بالجاحظ: .....67.....
1-1 - اسمه ونسبه: .....67.....
1-2-ثقافته وشيوخه: .....67.....

3-1-وفاته وأهم مؤلفاته: .....69.....

2-كتاب البيان والتبيين: .....71.....

2-1 – التعريف بالبيان والتبيين: .....71.....

2-2-أجزاؤه: .....72.....

2-3-مكانة كتاب البيان والتبيين وأثره: .....73.....

3- كتاب البيان والتبيين: .....74.....

القرآن الكريـــــم: .....75.....

قائمة المصادر والمراجع بالعربية: .....75.....

قائمة المصادر والمراجع الأجنبية: .....80.....